صدى العلوم

متخصصة بالبحوث العلمية المحكمة

ترخيص رقم 2022/244

مجلة فصليّة مؤقّتًا، متخصّصة بالآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة

الرقم التسلسلي المعياري الدولي لتعريف المطبوعات: ISSN 2959-9423

السنة الثانية

العدد 8

20 نيسان 25

- **الافتتاحية** / د. حسن محمد إبراهيم
- **الإرشاد النفس - اجتماعي وتنمية مهارة التواصل عند الأطفال مدمني استخدام الهواتف الذكية** / د. هويدا صليبي
- **عقيدة المعـاد وإشكالية التناسخ عند فلاسفة المسلمين** / الشيخ الدكتور علي طالب
- **الحوكمة الإداريّة الإلكترونيّة وأثرها على تطوير الأداء الحكوميّ في العراق** / نمير علي عبد الوهّاب علي العبيديّ
- **La Littérature, Entre Analyse Critique Et Réalité Sociale: Apports Et Défis De La Sociocritique** / Dr. Nathalie ROUPHAËL

صدى العلوم

متخصصة بالبحوث العلمية المحكمة

ترخيص رقم 2022/244

مجلة شهرية محكمة تعنى بقضايا العلوم النظرية والتطبيقية

الرقم التسلسلي المعياري لتعريف المطبوعات: issn 2959-9423

رئيس التحرير والمدير المسؤول

د. حسن محمد إبراهيم

00961 3 973983

موقع المجلة الإلكتروني: www.sadaloulum.com

البريد الإلكتروني: sadaloulum@gmail.com

الرقم التسلسلي المعياري الدولي لتعريف الدوريات لإلكترونية: issn 2959-9431

الاشتراكات: للأفراد داخل لبنان 80 $ أو ما يعادلها
للمؤسسات 125 $ أو ما يعادلها
مع رسوم البريد ضمناً

تصدر عن:

دار بيروت الدولية
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
009613973983

إخراج فني
Majed Mostafa
+961 70 743 117

تصميم شعار المجلة:
حسين جفال

Website Designed & Developed by
Eng. Ahmad Ali Raychouni
Software Engineer

إنّ الآراء والأفكار الواردة في الأبحاث لا تعبر بالضرورة عن رأي إدارة المجلة وفكرها

أسرة التحرير والهيئة الاستشارية العلمية وهيئة التحكيم في مجلة «صدى العلوم»

رئاسة التحرير				
الاسم	الاختصاص		الجامعة	البلد
د. حسن محمد إبراهيم	تاريخ سياسي معاصر	رئيس التحرير	ـــــ	لبنان

الهيئة الاستشارية العلمية			
الاسم	الاختصاص	الجامعة	البلد
أ.د. زينب الملا السلطاني	علوم القرآن ولسانيّات	رئيسة جامعة الزهراء(ع) في كربلاء	العراق
أ.د. محمد محسن	علوم الإعلام والاتصال	عميد المعهد العالي للدكتوراه في الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية في الجامعة اللبنانية	لبنان
أ.د. هبة شندب	اللغة الانكليزية	الجامعة اللبنانية	لبنان
أ.د. هويدا الترك	علوم اجتماعية	الجامعة اللبنانية	لبنان
أ.د. عصام الحاج علي	تاريخ إسلامي	الجامعة اللبنانية	لبنان

هيئة التحرير			
الاسم	الاختصاص	الجامعة	البلد
أ.د. محمود عواد	لغة إنكليزية	الجامعة اللبنانية	لبنان
أ.د. يسرى مازح	لغة إنكليزية	الجامعة اللبنانية	لبنان
أ.م.د. آني جوكوليان	لغة إنكليزية	الجامعة اللبنانية	لبنان
أ.د. طراد حمادة	فلسفة	وزير سابق / الجامعة اللبنانية	لبنان
أ.د. خنجر حمية	فلسفة	الجامعة اللبنانية	لبنان
أ.د. معضاد رحال	علوم اجتماعية	الجامعة اللبنانية	لبنان

أ.د. يوسف طباجة	علوم اجتماعية	الجامعة اللبنانية	لبنان
أ.د. محمد مراد	تاريخ	الجامعة اللبنانية	لبنان
أ.م.د. يحيى فرحات	تاريخ	الجامعة اللبنانية	لبنان
أ.د. قيس الجنابي	تاريخ / حضارة الشرق الأدنى القديم	جامعة بابل	العراق
أ.م.د. نبيل سرور	علوم سياسية واقتصادية	الجامعة اللبنانية	لبنان
أ.د. صفاء الحفيظ	الأدب العربي الحديث	جامعة بابل	العراق
أ. م.د. حسن الزهيري	لغة عربية ونحو	الكلية التربوية المفتوحة / بابل	العراق
د. زينب الطحان	لغة عربية / سرد روائي	الجامعة اللبنانية	لبنان
أ.د. مايا خالد	لغة فرنسية / ألسنية	الجامعة اللبنانية	لبنان
أ.د. فاتن قبرصلي	لغة فرنسية / أدبي	الجامعة اللبنانية	لبنان
أ.د. محمد عبده	حقوق	الجامعة اللبنانية	لبنان
أ.د. عبير كمال الحركة	حقوق	الجامعة اللبنانية	لبنان
أ.د. مهى المصري	آثار	الجامعة اللبنانية	لبنان
أ.م.د. حيدر خير الدين	آثار	الجامعة اللبنانية	لبنان
أ.م.د. جعفر فضل الله	آثار وتاريخ الفن / سياحة وفنادق	الجامعة اللبنانية	لبنان
أ.د. خليل إبراهيم خلف الدليمي	إدارة أعمال	جامعة إربد الأهلية	الأردن
أ. م.د. علي زعيتر	اقتصاد	الجامعة اللبنانية	لبنان
أ.د. سحر حجازي	علم نفس اجتماعي	الجامعة اللبنانية	لبنان
د. فاطمة دقماق	علم نفس	الجامعة الإسلامية	لبنان
أ.د. صليحة لكحل	علم اجتماع جنائي	جامعة «أحمد بن يحيى الونشريسي» تيسمسيلت	الجزائر
أ.د. فراس الربيعي	جغرافية سياسية	جامعة ديالى	العراق
أ.م. د. حميدة العجل	تنمية اقتصادية اجتماعية	جامعة الجنان	لبنان

أهداف مجلة «صدى العلوم»

يسرّ إدارة مجلة «**صدى العلوم**» الصادرة في لبنان، بناء على القرار الرقم (244/ 2022) الصادر عن وزارة الإعلام، بتاريخ 18 تشرين الثاني 2022، والمصنفة «**مطبوعة شهرية، غير سياسية، باللغات العربية، الفرنسية والانكليزية، متخصصة بالبحوث العلمية المحكمة**»، وبشخص مديرها العام ورئيس التحرير الدكتور حسن محمد إبراهيم، والتي تضم نخبة من الأستاذة الجامعين برتبة بروفسور من ذوي الكفاءة العلمية المرموقة في مختلف العلوم، ليشكلوا أسرة التحرير واللجنة الاستشارية العلمية المحكمة، أن تعلن أهدافها، التي ترتقي بالإنسان والعلوم الإنسانية وتفتخر بأنها تعمل لها ومن أجلها، ومن أبرز أهدافها:

- احترام الإنسان وعقله وروحه وفكره ومعتقد الخير والصلاح.
- تقديم ونشر رسالة العلم والعلوم لما فيه خير الإنسان والإنسانية والتعبير عن الأخلاقيات السامية.
- التواصل فيما بين الإنسان وأخيه الإنسان من خلال نقل الرسالة العلمية ضمن مكارم الأخلاقية.
- توسيع آفاق التواصل العلمي بين مختلف الباحثين من مختلف الدول.
- إفساح المجال للباحثين، في شتى دول العالم، لنشر بحوثهم ودراساتهم العلمية بهدف إظهار الحقائق وتعميم الفائدة.
- نشر الرسالة العلمية التي تحافظ على كينونة الإنسان والإنسانية.

نأمل من الجميع التعاون، وستجدون المجلة بخدمتكم لما هو خير لنا ونشر العلوم إن شاء الله.

شروط النشر في مجلة «صدى العلوم»

يسرّ إدارة مجلة «**صدى العلوم**» الصادرة في لبنان، بناء على القرار الرقم (244/ 2022) الصادر عن وزارة الإعلام، بتاريخ 18 تشرين الثاني 2022، والمصنفة «**مطبوعة شهرية، غير سياسية، باللغات العربية، الفرنسية والانكليزية، متخصصة بالبحوث العلمية المحكمة**»، وبشخص مديرها العام ورئيس التحرير الدكتور حسن محمد إبراهيم، واللجنة العلمية والاستشارية، أن تضع معايير نشر البحوث العلمية على صفحاتها، أهمها:

1. أن يكون البحث جديداً، وغير منشور سابقاً في أيّة وسيلة نشرٍ أخرى، سواء كانت ورقيَّةً أم إلكترونيَّةً، أو مشاركاً في أي مؤتمر علمي، أو مرسلاً إلى أية مراكز علمية وتدريبية، أو أن يكون منسوخاً عن أية جهة أخرى، وحالما يرسل الباحث بحثه للنشر، فإن ذلك يُعتبر تعهّداً منه بذلك، ويتحمّل كافّة التبعات القانونية والعلمية والمعنوية، في حال المخالفة.
2. أن يتطابق البحث مع الشروط العلمية من حيث الدقّة والموضوعية والرصانة والتوثيق وتقديم المعلومات الجديدة.
3. التقيّد بمسألة الاستلال ونسبة الاقتباس ضمن المعايير العلمية المعتمدة في الدراسات الجامعية.
4. يُعرض البحث على اللجنة الاستشارية العلمية، وتقوم إدارة المجلة بعدها بإخطار الباحث بمقبولية البحث أو رفضه.
5. بعد عرض البحث على الهيئة العلمية المتخصّصة لوضع الملاحظات العلمية، يتوجّب على الباحث الالتزام بها والعمل على تنفيذ تلك الملاحظات، وفي حال عدم التقيّد بالتنفيذ، تكون المجلة في حلّ من نشر البحث أو إرجاعه للباحث.
6. يتوجب على الباحث دفع الرسوم المالية قبل نشر بحثه، وفي حال قرّر الباحث عدم النشر فيتوجب عليه دفع رسوم التدقيق والتحكيم البالغة (**50٪**)، من قيمة المبلغ الإجمالي المتفق عليه، ويتم استيفاء رسوم التدقيق والتحكيم قبل الشروع بها، وذلك بعد إبلاغه بالموافقة على قبول البحث للنشر.

7. تؤول ملكية البحث أو الدراسة إلى المجلة، ولا يمكن للباحث نشره مجدّداً في أي وسيلة نشر أخرى، ويتحمّل كافّة المسؤولية القانونية والمعنوية والعلمية في حال مخالفته ذلك، وتحتفظ المجلة لنفسها بإدخال بعض التعديلات البسيطة.
8. منهجية البحث: هناك نموذجان في اعتماد المنهجية:

1) منهجية هارفرد من حيث توثيق الهوامش في أسفل الصفحة. على الشكل التالي:

- اسم المؤلف، عائلة المؤلف: **عنوان الكتاب** (بولد)، دار النشر، مكان دار النشر، الطبعة، تاريخ الطبعة، الصفحة.
- ثم يعاد إدراج المصادر والمراجع في ختام البحث بنفس الطريقة السابقة، لكن مع تعديل بسيط، بكتابة عائلة المؤلف قبل اسمه.

2) منهجية «APA»:

- من حيث ترقيم الفقرات بالأرقام، مثال: (1.) لعنوان الفقرة الرئيسية الأولى، ثم (1.1.) لعنوان الفقرة الفرعي فيها، ثم (1.1.1.) لعنوان الفقرة الفرعي الأدنى؛ ثم نعود إلى الرقم (2.) لعنوان الفقرة الرئيسية الثانية، التي بدورها يندرج فيها العناوين الفرعية الأخرى بصيغة (1.2.) و (1.1.2.) .... إلخ.
- وضع توثيق المصدر أو المرجع على السطر في المتن ضمن (هلالين)، بصيغة (عائلة المؤلف، سنة الطباعة، الصفحة).
- إدراج كافة المصادر والمراجع في نهاية البحث وفق الصيغة التالية:
  - إن كان المرجع أو المصدر كتاباً:

اسم المؤلف، عائلة المؤلف (دون أي صفة علمية أو سياسية أو إدارية): تاريخ النشر (بين قوسين)، **عنوان المصدر (بخط عريض)**، رقم الطبعة (بين قوسين)، اسم المحقّق أو المترجم، دار النشر، مكان النشر، رقم الجزء (إن وُجد). مثال:

محمّد مراد. (2005)، **تاريخ لبنان الحديث**، (ط 4)، دار الولاء، بيروت، ج 3.

- إن كان المرجع من مجلة علمية محكمة:
اسم الباحث متبوعًا باسم الشهرة، تاريخ النّشر بين قوسين، عنوان المقالة **(بخطّ عريض)** بين علامتي تنصيص « »، **اسم المجلة (بخطّ عريض)**، مكان النَّشر، الفصل، السنة، رقم العدد. مثال:
يوسف طباجة: (2007)، «**الشيخ البهائي، سلوكه الاجتماعي**»، مجلة **العلوم**، بغداد، أيلول 2021، عدد 3.

9. أن لا يتجاوز البحث العشرين صفحة بصيغة World، بمحتوى تقريبي بحدود **(250)** كلمة فقط في الصفحة الواحدة، وفي حال تجاوز الصفحات الرقم المحدّد، فإن للمجلة حق زيادة أجور النشر المتّفق عليها.
10. التقيّد بشروط التنسيق الفنّي عند كتابة البحث على الحاسوب (الكمبيوتر)، باعتماد الخط Simplified Arabic للبحوث العربية، بقياس **(14)** للنص، و **(16)** للعنوان، والخط Times New Roman للبحوث باللغة الفرنسية أو الانكليزية وكذلك للأرقام بقياس **(14)** للنص، و **(16)** للعنوان.
11. تبتعد الكتابة في بداية الفقرة عن الحدّ الأساس للكتابة، ليتبيّن ابتداء الفقرات.
12. إضافة الفاصل بين الفقرات، ليتبيّن انتهاء الفقرة وابتداء الأخرى.
13. وضع مستخلص في بداية البحث مع كلمات مفتاحية.
14. ترجمة المستخلص مع الكلمات المفتاحية إلى إحدى اللغتَيْن، الفرنسية أو الإنكليزية.
15. إرسال البحث منسَّقًا ضمن صيغة وورد (word)، إلى بريد المجلّة الإلكترونيّ أو عبر الواتس أب أو التلغرام من خلال رقم الهاتف المعتمد.
16. من أجل حفظ حق الباحث، يتوجب على المجلة إدراج اسمه وصفته العلمية عند نشر بحثه.

نأمل من الجميع التعاون، وستجدون المجلة بخدمتكم لما هو خير لكم ونشر العلوم إن شاء الله.

شروط النشر في مجلة «صدى العلوم»

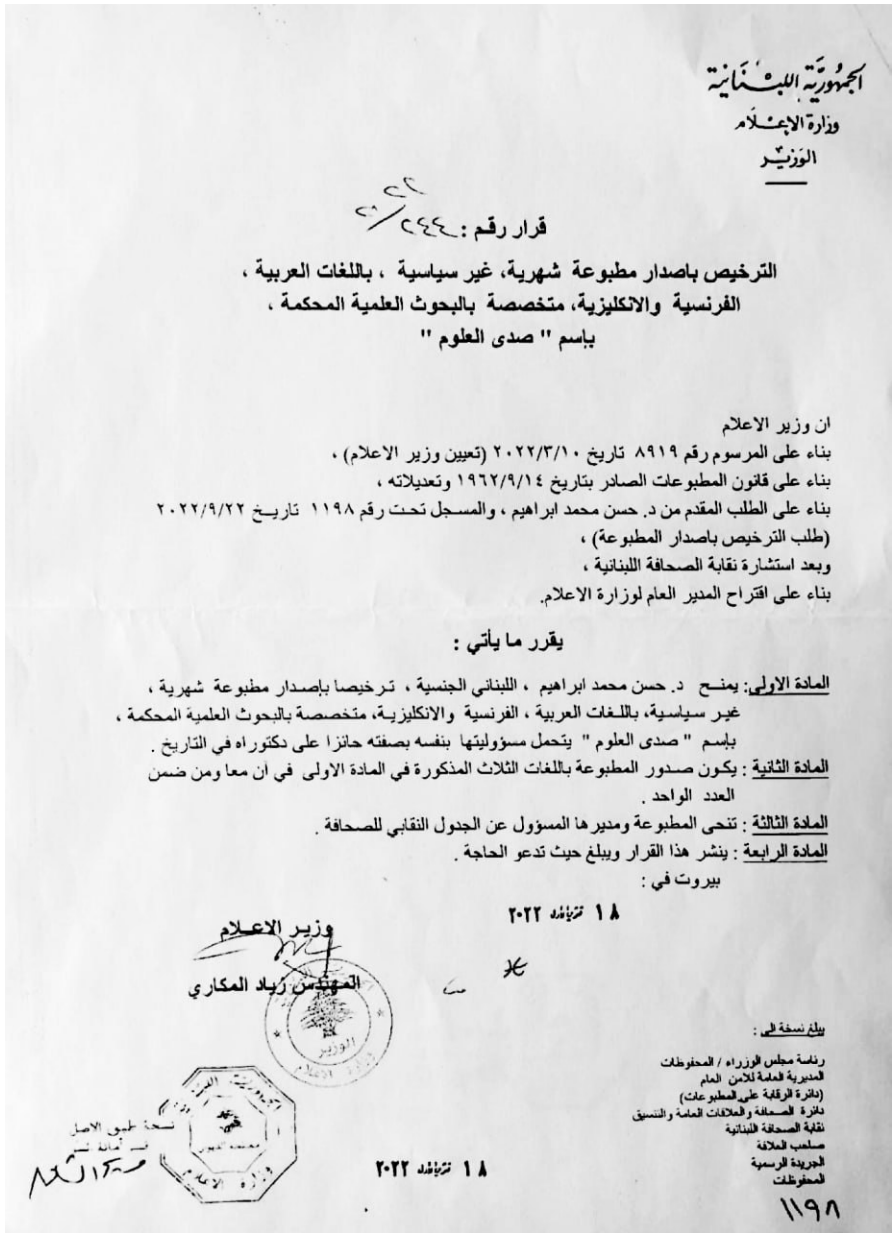

الجمهورية اللبنانية
وزارة الإعلام
الوزير

قرار رقم : ٢٠/٤٤٤

الترخيص باصدار مطبوعة شهرية، غير سياسية ، باللغات العربية ، الفرنسية والانكليزية، متخصصة بالبحوث العلمية المحكمة ، باسم " صدى العلوم "

ان وزير الاعلام
بناء على المرسوم رقم ٨٩١٩ تاريخ ٢٠٢٢/٣/١٠ (تعيين وزير الاعلام) ،
بناء على قانون المطبوعات الصادر بتاريخ ١٩٦٢/٩/١٤ وتعديلاته ،
بناء على الطلب المقدم من د. حسن محمد ابراهيم ، والمسجل تحت رقم ١١٩٨ تاريخ ٢٠٢٢/٩/٢٢ (طلب الترخيص باصدار المطبوعة) ،
وبعد استشارة نقابة الصحافة اللبنانية ،
بناء على اقتراح المدير العام لوزارة الاعلام.

يقرر ما يأتي :

المادة الاولى: يمنح د. حسن محمد ابراهيم ، اللبناني الجنسية ، ترخيصا باصدار مطبوعة شهرية ، غير سياسية، باللغات العربية ، الفرنسية والانكليزية، متخصصة بالبحوث العلمية المحكمة ، باسم " صدى العلوم " يتحمل مسؤوليتها بنفسه بصفته حائزا على دكتوراه في التاريخ .

المادة الثانية : يكون صدور المطبوعة باللغات الثلاث المذكورة في المادة الاولى في ان معا ومن ضمن العدد الواحد .

المادة الثالثة : تنحى المطبوعة ومديرها المسؤول عن الجدول النقابي للصحافة .

المادة الرابعة : ينشر هذا القرار ويبلغ حيث تدعو الحاجة .

بيروت في : ١٨ تشرين الأول ٢٠٢٢

وزير الاعلام
المهندس زياد المكاري

نسخة طبق الاصل

١٨ تشرين الأول ٢٠٢٢

يبلغ نسخة الى :
رئاسة مجلس الوزراء / المحفوظات
المديرية العامة للأمن العام
(دائرة الرقابة على المطبوعات)
دائرة الصحافة والعلاقات العامة والتنسيق
نقابة الصحافة اللبنانية
مساعب العلاقة
الجريدة الرسمية
المحفوظات

١١٩٨

المحتويات

11 **الافتتاحية** — د. حسن محمد إبراهيم

15 **الإرشاد النفس - اجتماعي وتنمية مهارة التواصل عند الأطفال مدمني استخدام الهواتف الذكية** — د. هويدا صليبي

60 **عقيدة المعاد وإشكالية التناسخ عند فلاسفة المسلمين** — الشيخ الدكتور علي طالب

85 **الحوكمة الادارية الالكترونية وأثرها على تطوير الأداء الحكوميّ في العراق** — نمير علي عبد الوهّاب علي العبيديّ

149 **La Littérature, Entre Analyse Critique Et Réalité Sociale: Apports Et Défis De La Sociocritique** — **Dr. Nathalie ROUPHAËL**

الافتتاحية

تعالوا إلى الله لنبني أنفسنا ... فنبني وطننا

د. حسن محمد إبراهيم(*)

يعيش لبنان التقاء شعيرة الصيام لدى المسيحيين والمسلمين، في لحظة تجلّي الرحمة الإلهية للصائمين والعابدين والمتمسّكين بحبله تعالى.

إن مسألة العبادة لله وحده هي من أولى أولويات التشريعات السماوية، وأيضًا من أولى أولويات الأخلاق والإنسانية، نظرًا لما في التقرّب إلى الله تعالى والقرب منه من فضائل تنقذ البشرية والإنسان بكل وجوده من رذائل النفس الأمّارة بالسوء، وتسير به نحو التكامل مع أصل وجوده والهدف منه، ليبلغ أعلى مراتب الرقيّ والسمو.

وإنّنا إذ نتقدّم من اللبنانيّين عامّة، ومن كل المؤمنين في كل العالم، بالتهنئة المباركة بحلول شعيرة الصيام، وما تحمل من معانٍ سامية، سواء لدى المسيحيّين أو لدى المسلمين، في الوقت نفسه، ندعوهم إلى تقوى الله ونظم أمرهم على الخير والهدى وصلاح النفس والوطن. وما تلا الشعيرة المباركة من فطر وعودة الحياة إلى طبيعتها، في العيدين وما بعدهما، على أمل الاستفادة في تهذيب النفس.

ندخل من باب العبادة لله تعالى، ونحن نعيش فضائل الصيام وتنقية النفس من كل شائبة، ونسأل الله بداية أن يغمر بلطفه ورحمته وبركاته هذه الأرض بظهور فرجه

(*) رئيس التحرير.

الشريف، ويملأها قسطًا وعدلًا بعدما مُلئت ظلمًا وجورًا. ونتوجّه إلى كل اللبنانيّين الذين يعيشون حالة الانتماء الطائفي والمذهبي، ويمارسون تعاليمهم الدينية بحرّية، وإلى كل الذين يعملون خارج الانتماء الديني، أن يعيشوا حالة الانتماء لله تعالى، لأن اتّباع السنن الإلهية والسلوكيّات النبويّة تقود بنا، أفرادًا ومجتمعًا ووطنًا وأمّة، نحو السلام والاتّحاد والوحدة وحفظ وطننا وحفظ الإنسان وتسامي الأخلاق، فلو اجتمع كل الأنبياء، منذ آدم حتى رسولنا الأعظم محمد ﷺ، لما اختلفوا، ولما تفرّقوا، ولما عاشوا تعصّبًا عشائريًّا، ولما تآمروا على بلدانهم وشعوبهم، ولحكموا بالعدل والإنصاف، ونصروا المستضعف، ووقفوا في وجه الظالم والمستبدّ. ذلك، ومن باب الاتّعاظ، أليس أولى بنا نحن اللبنانيّون، ونحن العرب، ونحن المسيحيّون، ونحن المسلمون، ونحن كل الجنس البشري، أن نسير وفق شرائعهم وتعاليمهم؟ وهذا ما يدعونا إليه دستورنا الإلهي، ونظامنا الإنساني، ودستورنا الوضعي اللبناني، لإقامة الشعائر الدينية، وعدم المساس بالآخرين سوءًا وظلمهم، والحكم بالعدل، وتهذيب النفس.

إنّنا، ومن خلال المناسبتَين العظيمتَين، صوم المسيحيّين وصيام المسلمين، ندعو كل اللبنانيّين للاتّحاد والوحدة، والتباحث في الشأن الوطني، على قاعدة تعاليم الصوم وأهدافه، وأن ننظر إلى أرضنا ووطننا وشعبنا واختلاف مِلَلِنا الدينيّة، على أننا كلنا عبيد لله تعالى وحده، لا عبيدًا للطواغيت، ولا عُبّادًا للمناصب والمصالح الشخصية على حساب الآخرين.

إن ما يحتاجه لبنان اليوم، هو النظر بجدّيّة إلى دستوره والعمل به، واحترام الآخر، والعمل وفق ما أمر الله بإعمال العقل لضمان سلوك سليم، لا اتّخاذ الهرمونات والكيدية وقتل الآخرين بشتى الوسائل، لتعطيله وتبرير الوحشية والسلوك السيّء، فإن السنن الإلهية، كما يعبّر بقوله تعالى، إلى أنه ﴿... وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ

يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾.

إن ما تشهده اليوم منطقة غرب آسيا ووسطها، مع بعض الدول الأخرى، لا سيّما في شمال أفريقيا، وبعض الدول الأوروبية، من فوضى سياسية وأمنية تقود إلى صراعات عسكرية، ما هو إلا نتيجة الابتعاد عن السنن الإلهية وتعاليم الله تعالى وتشريعاته، وعن مخالفة أهداف الصيام المبارك، وتاليًا، هو تداعيات العمل الشخصاني، وتحقيق المكاسب الفردية أو الجماعية الخاصة، وفاق قاعدة «أنا ومن بعدي الطوفان». لذلك تأتي الدعوة إلى التمسّك بحبل الله، من أجل إنقاذ البلاد والعباد.

وفي الحديث عن القضايا السياسية اللبنانية، الداخلية منها والخارجية، فيجب أن تندرج ضمن المعايير الإنسانية الحقّة بما فرض الله تعالى، من الدعوة إلى المحبة والرحمة والتسامح، لأن الأصل هو ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، وأيضًا إلى نصرة المظلوم والوقوف في وجه الباطل والظلم. وهذا ما يتوجّب علينا من نصرة الشعب الفلسطيني والشعب السوري والشعب اليمني، من الأطماع الصهيونية الفاعلة على تقسيم بلداننا وتشتيت أبنائنا وضياع أوطاننا.

ولأن «حب الوطن من الإيمان»، وبالتالي هو متعلّق بالعلاقة مع الله، فمن سقط دون أرضه هو شهيد، ويقودنا ذلك إلى الاعتقاد واليقين بأن الدفاع عن الأرض والوطن والعرض هو واجب ومقدّس، وها نحن اليوم نواجه أشرس هجمة صهيونية على بلادنا، وهذا العدو هو متوافَق عليه من مختلف مكوّنات المجتمع اللبناني، لا بل إن القانون اللبناني يؤكد أن الكيان الصهيوني هو عدو لبنان، وهذا ما يردّده أركان الدولة اللبنانية دائمًا، لذلك علينا أن نهبّ جميعًا من أجل الدفاع عن أرضنا، وردع الاعتداءات الصهيونية التي تطال بلدنا منذ اللحظة الأولى لقيام هذا الكيان على أرض فلسطين.

هي دعوة صادقة ملؤها المحبة والرحمة والاحترام والتقدير لكلّ مكوّنات المجتمع اللبناني، ولنبذ الفرقة، فنحن نمرّ في مرحلة صعبة جدًّا، لا يمكن لأي عاقل التغافل عن مخاطرها، لا بل يتوجّب على كل لبناني السير في سبل الحكمة وبذل أقصى الجهود، لحماية وطننا والانتقال به إلى ضفة الأمان، بعيدًا عن المهاترات والرّهانات والتعصّب، لأن مياه البحر عندما تخرق جدار السفينة ستغرقها بجميع من فيها.

وانطلاقًا من الحديث عن الإيمان والعبادة في هاتَين المناسبتَيْن العظيمتَيْن، فإن التمسّك بالعقائد السليمة التي تقودنا إلى الله تعالى هو السبيل الأوضح للسلوك السويّ، بعيدًا عن التلطّي خلف الطائفية السياسية القائمة على المكاسب الضيّقة، لأن المتمسّكين بها هم أبعد ما يكونون من الله تعالى والإيمان به والعمل بشرائعه. وكذلك؛ فالتمسّك بالتعاليم الإلهية يفرض المحبة والرحمة، فكل تلك التعاليم تتمخّض عن مبدأ عظيم هو «إنما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»، ومن ضمن هذه المكارم حب الوطن والمواطنين والدفاع عنهما، والعمل بعدل وسواسية بين العباد، فلا فرق لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

وفي مسألة موازية، لبناننا اليوم بحاجة لكل أبنائه، ليعملوا من أجل صالحه العام، في مختلف المجالات، وعلى كافّة الصعد السياسيّة والاقتصاديّة والتربويّة والتعليميّة والإعلاميّة، لأن كل تلك المسارات تنهض به وتجمع مواطنيه، وأبرز ما في ذلك هو الدفاع عنه ميدانيًّا وسياسيًّا وإعلاميًّا وفكريًّا وثقافيًّا، لا أن نسير وفاق ما تمليه علينا إدارات العواصف وتبديل خرائط المنطقة. لذلك تعالوا إلى الله لنبني أنفسنا ... فنبني وطننا.

الإرشاد النفس - اجتماعي وتنمية مهارة التواصل عند الأطفال مدمني استخدام الهواتف الذكية

د. هويدا صليبي[1]

ملخص

هدفت الدراسة إلى تنمية مهارة التواصل لدى عيّنة من الأطفال المدمنين على استخدام الهواتف الذكيّة في جبل لبنان، وذلك من خلال إعداد خطة إرشاديّة تم تنفيذها في مدّة (9) أسابيع. تكوّنت العيّنة من (6) أطفال تتراوح أعمارهم بين (9–13) سنة، (3) من الذكور، و(3) من الإناث، وهي فئة لديها قصور في مهاراتها التواصليّة، بالإضافة إلى الإدمان على استخدام الهواتف الذكية.

واعتمدت الدراسة على المنهجَيْن الوصفي والإجرائي. كما استخدمت عدّة تقنيّات أخرى كالتوثيق، الملاحظة، المقابلة الإرشادية، واستعانت ببعض الأدوات كمقياس مهارات التواصل، ومقياس الإدمان على الأجهزة الذكيّة.

أظهرت النتائج فعاليّة الخطّة الإرشاديّة في تحسين مهارة التواصل عند الأطفال من خلال انخفاض مستوى إدمانهم الإلكتروني، حيث أصبحوا أكثر انتباهًا للوقت الذي يستخدمون فيه هواتفهم الذكية.

الكلمات المفتاحية: الإرشاد والتوجيه النفس–اجتماعي، مهارات التواصل، الإدمان على الهواتف الذكية، الأطفال، العالم الافتراضي.

(1) أستاذة محاضرة في الجامعة اللبنانية، معهد العلوم الاجتماعية.

Résumé de la recherche

L'étude visait à développer les compétences de communication chez un échantillon d'enfants accros à l'utilisation des smartphones au Mont-Liban, en mettant en œuvre un plan de counseling sur une période de 9 semaines. L'échantillon était composé de 6 enfants âgés de 9 à 13 ans, dont 3 garçons et 3 filles, présentant des lacunes dans leurs compétences communicationnelles ainsi qu'une dépendance à l'utilisation des smartphones.

L'étude s'est appuyée sur une approche descriptive et opérationnelle. Plusieurs techniques ont été utilisées, telles que la documentation, l'observation, l'entretien de counseling, ainsi que des outils comme une échelle d'évaluation des compétences de communication et une échelle de mesure de la dépendance aux appareils numériques intelligents.

Les résultats ont montré l'efficacité du plan de counseling dans l'amélioration des compétences de communication des enfants, grâce à une réduction de leur niveau de dépendance aux écrans. Les enfants sont devenus plus conscients du temps passé sur leurs smartphones.

Mots-clés: Counseling et orientation psychosociale, compétences de communication, dépendance aux smartphones, enfants, monde virtuel.

المقدمة

ساهم التطوّر التكنولوجي، لا سيّما ظهور الهاتف الذكي في تعزيز مشكلة الإدمان على استخدام الإنترنت، التي أصبحت قضيّة اجتماعيّة تنتشر في العديد من المجتمعات، حيث بدأت تتلاشى الحدود الفاصلة بين الحياة الواقعيّة وتلك الافتراضيّة.

وأصبحنا نعتمد بشكل متزايد على الأجهزة الإلكترونية سواءً في الدراسة أو العمل أو الترفيه. وقد بات الإدمان عليها لا يقلّ خطورة عن إدمان المخدرات. وفي آخر إحصاء لمركز إدمان التكنولوجيا والإنترنت في الولايات المتحدة الأميركية في العام

2024، تبيّن أن أكثر من **(50%)** من الأميركيّين يعتقدون أنهم مدمنون على استخدام هواتفهم، وأن **(80%)** قالوا بأنّهم يتفقّدون هاتفهم كل خمس دقائق، و **(60%)** من المراهقين تظهر عليهم علامات إدمان الهاتف المحمول[1].

أيضًا، كشفت نتائج الإصدار الخامس لدراسة (Switch of research)، التي تحمل عنوان «**تأثير الهواتف الذكية على العلاقة بين الوالدَيْن والطفل**»، الذي أجرته شركة (Cybermedia research- CMR) المختصّة بصناعة الهواتف الذكيّة، أن الأطفال يبدؤون باستخدام الهاتف بمتوسط عمر **(12)** سنة، ويقضون تقريبًا **(6.5)** ساعات يوميًّا في استخدامه بشكل رئيس باللعب. ولعلّ ما يثير القلق «أن **91%** يعترفون بأنهم يشعرون بالقلق عند الابتعاد عن هواتفهم، ممّا يدل على الاعتماد العاطفي العميق، وما يقرب من **90%** منهم منخرطون في الغالب في أنشطة الهواتف الذكيّة في المنزل، ما يدلّ على الاعتماد المفرط»[2].

وفي الدول العربية، أُجريت دراسة للكشف عن مستوى إدمان الإنترنت شملت أكثر من **(17)** دولة، طُبقت على عيّنة تتكوّن من **(2802)** مشارك، بينهم **(1543)** ذكرًا، و **(1259)** أنثى، والتعرّف على الفروق في متوسّط درجات الإدمان تبعًا لمتغيّر الجنس، السنّ، المنطقة السكنيّة، دخل الأسرة. أظهرت نتائجها أن هناك مستوى ينذر بالخطر من إدمان الإنترنت حيث يعاني أكثر من ربع أفراد العينة **(36.6%)**، مشاكل بسبب استخدام الإنترنت الحادّ، لا سيّما الفئة بين **(18–39)** سنة[3].

صحيح أن هناك عوامل عدّة تساهم في حصول إدمان الهواتف الذكية، إلّا أن

(1) ساية ديس ماريه: **إحصائيات إدمان التكنولوجيا 2024**، موقع **مركز إدمان الأنترنت والتكنولوجيا** الإلكتروني، شوهد في 2025/2/1، على الرابط: https://virtual-addiction.com/technology-addiction-statistics-2024/.

(2) مؤنس حواس: **91% من الطفال يشعرون بالقلق عند الإبتعاد عن هواتفهم**، موقع **اليوم السابع** الإلكتروني، نشر في تاريخ 2023/12/11، شوهد في 2025/2/1، على الرابط: https://goo.su/qPhBtkc.

(3) حياة حلايمي؛ الحاج تيطاوني: **واقع استخدام الانترنت في العالم العربي: دراسة مسحية على عيّنة من مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي**، مجلة **الرسالة للدراسات الإعلامية**، المجلد 6، العدد2، جوان 2022، ص 20.

حصول جائحة كورونا ساهم في تزايد ساعات استخدام الهاتف الذكي بسبب التعليم من بُعد. هذا فضلًا عن أنّ الأطفال يستخدمون الهاتف للتواصل مع الأصدقاء والترفيه واللعب. فقد أثبتت دراسة أن (**79٪**) من فئة اليافعين يمكن عدّهم مدمني إنترنت، وأن الحَجْر المنزلي الذي فُرِض كان السبب الأول. وأكدت نتائج الدراسة أن إدمان الإنترنت جعلهم يهملون الدراسة، فتراجع تحصيلهم العلمي[1]. وهناك دراسة أخرى أكّدت إضافة لما سبق، أن إدمان الهاتف يمكن أن يؤدّي إلى مشاكل في النوم والتركيز والأداء الدراسي[2].

إن إدمان الهواتف الذكيّة من شأنه أن يفصل الطفل عن الحياة الاجتماعيّة الواقعيّة، ما يُعيق اكتسابه للمهارات الضروريّة واللازمة لتكيُّفه مع المجتمع. وضمن هذا السياق، هناك العديد من المهارات التي على الطفل اكتسابها لينضج اجتماعيًّا، من بينها مهارة التواصل مع الآخرين، التي يؤدّي عدم اكتسابها منذ الطفولة إلى جعل الطفل عاجزًا، ليس فقط، عن إقامة تواصل فعَّال مع المحيطين به، بل تجعله يعجز حتى عن التعبير عن أفكاره ومشاعره بأسلوب مقبول اجتماعيًّا بفعل التوتّر الذي يولده الإدمان. وبالمقابل، يعجز عن فهم مشاعر الآخرين، ما ينعكس سلبًا على تفاعله الاجتماعي ويدفعه نحو الانطوائيّة والعزلة الاجتماعيّة.

وأخيرًا، تجدر الإشارة إلى أن الطابع المهني لهذه المقالة، جعلنا نستبدل بعض المصطلحات الشائعة في التوجّه البحثي، حيث سيحلّ مصطلح التساؤل الرئيس محل الإشكالية، كما سيستخدم المنهج الإجرائي الذي يقتضي استبدال مصطلح العيّنة بمصطلح الفئة المستهدفة.

---

(1) سارة محمد الهزاع: **إدمان الإنترنت خلال جائحة كورونا**، موقع **الراية** الإلكتروني، نشر في تاريخ 2022/6/28، شوهد في تاريخ 2025/2/1، على الرابط: https://goo.su/xhT8JK.

(2) Alexandrina- Mihaela Popescu et al.: **Smartphone addiction risk, technology-related behaviors and attitudes, and psychological well-being during the covid -19 pandemic**, 16 August 2022, retrieved 12025/2/, on: https://www.frontiersin.org/journals/psychology/articles/10.3389/fpsyg.2022.997253/full.

أوّلًا. في المنهجية

سنعرض في السطور التالية، أبرز الخطوات المنهجية التي اتّبتعها الدراسة.

أ. أسباب اختيار الموضوع

إن المسؤولية العلميّة والاجتماعيّة شكّلت سببًا لدراسة الموضوع، حيث لاحظت الباحثة تزايد استهلاك الهواتف الذّكيّة في حياة الأطفال، وافتقارهم لأساليب التواصل الفعّال مع الآخرين بفعل قضاء معظم أوقاتهم أمام شاشة الهاتف لدرجة الإدمان. وكذلك، لأن هذه التقنية (أي الهاتف الذكي)، أحدَثَت العديد من التغيُّرات في أسلوب حياة الأفراد وطرق تواصلهم. أضف إلى ذلك، الميل الشخصي لدراسة هذا الموضوع.

ب. أهمية الدراسة

تبدوالأهميّة العلميّة لهذه الدراسة في كونها تساهم في توسيع المعرفة العلميّة حول إدمان الهواتف الذّكيّة وتأثيراتها على الأطفال، ولا سيّما، موضوع فهم تأثير إدمان استخدام الطفل للهاتف الذّكي على تواصله وعلاقاته الاجتماعية وأسلوب تفاعله مع الآخرين. هذا وقد لاحظت الباحثة كثرة الدراسات العربية والأجنبية حول إدمان الإنترنت عند الشباب الجامعي والمراهقين وندرة الدراسات عند الأطفال، في حين أنهم الفئة الأكثر تضرّرًا من الشباب، كونهم ما زالوا في طور النموّ العقلي والجسدي والاجتماعي.

وتكتسب هذه الدراسة أهمّيّتها من إبرازها الدور الحيوي للإرشاد والتوجيه النفس ـ اجتماعي في الحدّ من الآثار السلبية لإدمان الهواتف الذكيّة، وتحسين عدة مهارات عند الأطفال، كمهارة الاستماع والتحدّث والقدرة على فهم الآخرين وإدارة العواطف، ما ينعكس إيجابًا على تفاعلهم مع المحيطين بهم.

أما الأهمّيّة العمليّة، فتبدو من خلال مساهمتها في مساعدة الأطفال على تنمية مهارة التواصل لديهم، التي لها تأثير بارز على:

- تنمية شخصيّتهم، عمومًا، وتحقيق تكيّفهم مع بيئتهم.
- تفاعلهم الاجتماعي مع الناس من حولهم.
- التعبير عن مشاعرهم ومجمل احتياجاتهم الحياتية بطريقة فعّالة.
- تأمين بيئة صحيّة لتطوّرهم الشخصي سواء على مستوى النموّ النفسي أو العلائقي، لا سيّما وأنهم ما زالوا في طور النموّ.

ج. الفئة المستهدفة (العينة)

تكوّنت العيّنة من **(6)** أطفال تتراوح أعمارهم بين **(9 ـ 13)** سنة، **(3)** من الذكور، و **(3)** من الإناث من «متوسطة المحيدثة الرسمية» (بكفيا)، وهي فئة لديها إدمان على استخدام الهواتف الذّكيّة، ما ولَّد قصورًا في مهاراتهم التواصلية مع أهلهم والمحيطين بهم.

د. المناهج المعتمدة

تستند الدراسة إلى منهجَيْن، الأوّل هو المنهج الوصفي، وهو عبارة عن «وصف واقع المشكلات والظواهر كما هي، أو تحديد الصورة التي يجب أن تكون عليها هذه الظواهر في ظلّ معايير محدّدة، مع تقديم توصيات أو اقتراحات من شأنها تعديل الواقع للوصول إلى ما يجب أن تكون عليه هذه الظواهر»[1]. فقد استخدمنا هذا المنهج بغية وصف الفئة المستهدفة من خلال دراسة حالتهم وتحليلها لنقدّم صورة موضوعية عن واقعهم، وذلك بالاستعانة بتقنيّة الملاحظة المباشرة والمقابلة النصف موجّهة.

أيضًا؛ استخدمنا المنهج الإجرائي، وهو عبارة عن «نهج بحثي يركّز على القضايا

(1) محمد النعيمي: **طرق ومناهج البحث العلمي**، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، 2015، ص 227.

العمليّة الواقعية ويهدف إلى توليد معرفة قابلة للتنفيذ وإحداث تغيير إيجابي»[1]. وقد اعتُمد هذا المنهج ليكون التدخّل الأوّلي من خلال إعداد خطة إرشاديّة وتنفيذها، وإيجاد حلول لمشكلة تدنّي مستوى مهارات التواصل عند الأطفال مدمِني استخدام الهواتف الذكية.

هـ. التقنيات والأدوات

لقد استُخدمت تقنيّات إرشادية متنوّعة في هذه الدراسة. بداية، استُخدمت تقنية التوثيق حفاظًا على الملكيَّة الفكريَّة لأعمال الآخرين. ثم استُخدمت الملاحظة المباشرة، فهي وسيلة مهمّة للحصول على المعلومات، وذلك من خلال مشاهدة الأطفال وسلوكيّاتهم ومعاينتهم، من خلال الجلسات الفردية والجماعية. وقد اعتُمدت هذه التقنية لأنها تساعد في رصد أسلوب تواصل أفراد العيّنة وسلوكهم الاجتماعي.

كما استُعين بتقنية المقابلة نصف الموجّهة التي تعدُّ من أدوات البحث العلمي المرنة، حيث «يقوم الباحث بتحديد مجموعة من الأسئلة بغرض طرحها على المبحوث، مع احتفاظ الباحث بحقّه في طرح أسئلة من حين لآخر دون خروجه عن الموضوع»[2]. ولأن هذه التقنية تسمح للباحث بتتبُّع أجوبة المبحوثين وإضافة أسئلة جديدة في أثناء إجراء المقابلة، كانت أثارتها أجوبتهم أو استفسارًا عن بعض الأجوبة. وقد تكوّنت المقابلة من عدة محاور، هي: محور بيانات شخصيّة، محور بيانات عائليّة، محور بيانات مدرسيّة، محور بيانات تتعلّق بالتواصل، ومحور أخير يتعلّق باستخدام الهاتف الذكي. كما جرت مقابلة نصف موجّهة مع الأمّهات، وتطبيق

(1) محمد تيسير: **أنواع البحث الإجرائي وكيفية ارتباطه بأنواع أخرى من البحث**، نُشر في تاريخ 2023/12/7، شوهد في 2025/2/1، على الرابط: https://goo.su/o80LE9.

(2) نبيل حميدشة: **المقابلة في البحث الاجتماعي**، مجلة **العلوم الانسانية والاجتماعية**، المجلد 4، العدد 8، جوان 2012، ص 102.

مقياس إدمان الأطفال على استخدام الأجهزة الذكية.

أما بالنسبة للأدوات، فقد استخُدم مقياس مهارات التواصل للدكتور أحمد أبو أسعد[1]. الهدف منه تحديد مدى القصور في مهارات التواصل لدى أفراد العيّنة، حيث استُخدم قبل البدء في الخطّة الإرشادية وبعد الانتهاء منها، لمعرفة مدى التطوّر الحاصل عند الأطفال. وكذلك الأمر بالنسبة لمقياس إدمان الأطفال على استخدام الأجهزة الذكية.

1. مجالات المقياس

يتكوّن مقياس مهارات الاتّصال من **(32)** فقرة موزّعة على أربعة مجالات هي:

- **مجال مهارات الاستماع**: يقيس القدرة على الاستماع أثناء التواصل مع الآخرين بفعاليّة، وتقيسها الفقرات الرقم: **4، 5، 10، 11، 17، 21، 22، 23.**
- **مجال مهارات التحدث**: يقيس القدرة على إيصال الرسالة بنجاح أثناء الاتّصال اللفظي، وتقيسها الفقرات الرقم: **6، 7، 12، 13، 16، 24، 25، 31، 32.**
- **مجال القدرة على فهم الآخرين**: يقيس قدرة الفرد على فهم الرسائل الموجّهة إليه لفظيًّا أو باستخدام الإيماءات، وتقيسها الفقرات الآتية: **8، 9، 14، 18، 20، 28.**
- **مجال إدارة العواطف**: يقيس القدرة على إظهار المشاعر المناسبة والتحكّم بها، والقدرة على التعامل مع مشاعر الآخرين. وتقيسها الفقرات التالية: **1، 2، 3، 15، 19، 26، 27، 29، 30.**

2. كيفية تصحيح المقياس وتفسير النتائج

بالنسبة لطريقة تصحيح المقياس، على الطفل أن يختار أحد البدائل الثلاث الآتية:

(1) أحمد أبو أسعد: **دليل المقاييس والاختبارات النفسيّة والتربوية**، مركز ديبونو لتعليم التفكير، عمان، 2015، ج 2، ص 24ـ29.

«نعم» تُعطى **(3)** درجات، وتُعطى أحيانًا **(2)** درجتَيْن اثنتَيْن. «لا» تُعطى **(1)** درجة واحدة.

يبلغ عدد فقرات المقياس **(32)** فقرة، تتراوح العلامة الكليّة بين **(32–160)** درجة، والمتوسّط يكون عند الدرجة **(96)**. وكلّما ارتفعت علامة الفرد عن المتوسط دلّت على امتلاكه مهارة التواصل.

أيضًا، سوف يُستخدم مقياس إدمان الأطفال على استخدام الأجهزة الذكيّة للباحثة عائشة المجادعة[1].

ويهدف المقياس للتعرّف على مدى إدمان الأطفال على استخدام الأجهزة الذكيّة، وذلك من خلال معرفة اتجاهاته الاجتماعيّة والأسريّة والنفسيّة والدراسيّة من وجهة نظر الأمّهات.

3. أبعاد المقياس

يتكون المقياس من **(20)** عبارة موزّعة على أربعة أبعاد هي:

- **البُعد النفسي**: يتضمّن **(5)** فقرات.
- **البُعد الاجتماعي**: يتضمّن **(5)** فقرات.
- **البُعد الأُسَري**: يتضمّن **(5)** فقرات.
- **البُعد الدراسي**: يتضمّن **(5)** فقرات.

4. تصحيح المقياس و تفسير النتائج

عند الإجابة على المقياس، يجب على الأمّهات اختيار أحد البدائل الثلاثة: «نعم»

(1) عائشة هليل محمد عبد الله المجادعة: **إدمان الأطفال على الأجهزة الذكية وعلاقته بأساليب المعاملات الوالدية المدركة من قبل الأمهات، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات**، المجلد 3، العدد 38، ديسمبر 2022، ص 106 – 109.

تُعطى (3) درجات، وتُعطى أحيانًا (2) درجتَيْن اثنتَيْن. «لا» تُعطى (1) درجة واحدة.

و. تحديد المفاهيم

فيما يلي سنقوم بعرض لأبرز مفاهيم الدرسة وهي الآتية:

- **الإرشاد النفس – اجتماعي**: هو عبارة عن «مجموعة من الممارسات المتنوّعة كالتوجيه، والمساعدة، وإبلاغ المسترشد بالمعلومات الضروريّة التي تساعده على مواجهة مشكلاته وحلّ العقبات التي تعترضه وتشكّل له أزمة معيّنة. وهذه الممارسات تتطلّب وقتًا وأحيانًا تقتضي إقامة علاقات، ليس فقط مع المسترشد، بل مع جماعات تدعم المسترشد وتيسّر الحل للمشكلة التي يعاني منها»[1].
- **الهاتف الذكي**: هو «الهاتف المحمول الـذي يحوي العديد من وظائف الحاسوب. ويتميّز الهاتف الذكي التقليدي بامتلاك شاشة عرض عالية الدقة تعمل باللمس، وقابلية الاتّصال بالواي فاي وتصفّح الإنترنت والقدرة على تشغيل تطبيقات معقّدة. أما الجزء الأكبر من هذه الأجهزة، فيعمل على أنظمة التشغيل الشهيرة مثل أندرويد، IOS، ويندوز موبايل وبلاك بيري»[2] .ويتميَّز بمجموعة من الخصائص «كالاتّصال بالآخرين، التسلية بالألعاب، والاستماع إلى ملفات صوتيّة، كذلك إلى الراديو ومسجّل الصوتيات وغيرها من الألعاب المشتركة بين الأجهزة وعبر خطوط الإنترنت»[3].
- **مهارات التواصل**: يُقصد بها «العمليّة الأكثر تعقيدًا في نقل المعلومات والمشاعر والأفكار والتي يستخدم فيها الفرد التأثير في سلوك الآخرين،

(1) سحر حجازي: **الإرشاد في بيئته الثقافية والاجتماعية**، دار النهضة العربية، بيروت، 2018، ص9 .

(2) راجع: لا إسم: **الهواتف الذكية**، موقع **قاموس مدى لمصطلحات النفاذ الرقمي والتكنولوجيا المساعدة** الإلكتروني، شوهد في 2/ 2/ 2025، على الرابط: https: / /goo.su /drVT.

(3) ريم الفول: **الاستخدام المفرط للهواتف الذكية ودوره في غرس ثقافة ممارسة الطفل للأنشطة الرياضية من وجهة نظر الأولياء، دراسة مسحية على عينة من أطفال مدينة مليانة**، مجلة **الاتّصال والصحافة**، 2021، المجلد 8، العدد 2، ص 127.

وتشمل الكتابة والكلام والإشارات وتعبيرات الوجه وحركات الجسم الخاصّة باللُغة والتواصل الجسمي»[1]. وهي تتكوّن من عدة عناصر كالاستماع الفعّال، التعبير بوضوح عن المشاعر، فهم مشاعر الآخرين والتعاطف معهم، الاحترام والإيجاز ولغة الجسد.

- **الإدمان على الهواتف الذكيّة:** هو عبارة عن «أحد صُوَرِ الإدمان السلوكي الناتج عن الاعتماد النفسي على استخدام الهاتف المحمول، الذي يترتّب عليه عدد من المشكلات النفس - اجتماعية نتيجة فقدان السيطرة على الوقت في استخدامه»[2]. كما يُعرَّف بأنه «قضاء ساعات طويلة في استخدام الهاتف الذكي، وبالتالي إهمال العديد من الأنشطة الأخرى التي يجب على الفرد إكمالها»[3]. وهو يؤثّر سلبًا على حياة الفرد بمعظم نواحيها المهنيّة والدراسيّة والعائليّة والعلائقيّة.

ز. التساؤل الرئيس

لقد أدّى ظهور الإنترنت إلى التغيير في أسلوب حياة الشعوب وأساليب عملها وكيفيّة قضائها لوقت الفراغ. وبالرغم من إيجابيّاتها في المجالات العلميّة والطبيّة والتجاريّة، حيث سهّلت حياة الناس واختصرت المسافات والوقت، غير أن ذلك لم يمنع ظهور بعض السلبيّات كهدر الوقت، إذ أظهرت نتائج دراسة ميدانية على عيّنة تتكون من **(5000)** شخص[4]، أن **(91.5%)** من المستخدمين في العالم العربي

(1) سهير كامل أحمد: **مهارات التواصل**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2023، ص 155.

(2) ماري سامي سعد غطاس: **إدمان الهاتف المحمول لدى طالبات المرحلة الثانوية، دراسة حالة**، مجلة **مركز الإرشاد النفسي والتربوي**، كلية التربية، جامعة أسيوط، العدد 7، أكتوبر 2019، ص 152.

(3) Hassan,E., & al.:**The smartphone addiction scale for university students: Psychometric characteristics and factor structure**, International Journal of Innovation, creativity and change, vol.15, Issue 2, P 626.

(4) سامي عبد الرؤوف الطايع: **استخدام الانترنت في العالم العربي، دراسة ميدانية على عينة من الشباب العربي**، المجلّة **المصرية لبحوث الرأي العام**، العدد 4، مصر، 2000.

يستخدمها للترفيه والتسلية، فضلًا عن الانخفاض في مستوى أداء الأفراد سواء الراشدين في العمل أو التلامذة في المدرسة. ولعلّ أبرز هذه السلبيّات الإدمان على استخدامها، لا سيّما، بعد ظهور الهواتف النقّالة الذكيّة.

في الواقع، إن الأطفال يحتاجون إلى الرعاية والاهتمام كونهم ما زالوا في المراحل الأولى من حياتهم، تعتريهم روح البراءة، ويفتقرون للنضج والرؤية النقدية لما يشاهدونه أو يسمعونه من خلال الهاتف ووسائل التواصل الاجتماعي. بالمقابل، هم في فطرتهم مشدودون دومًا للهو واللعب، والفضول لمعرفة المزيد، دون الوعي الكافي بمخاطر الهاتف الذكي وما تقدّمه وسائل الاتّصال من مضامين تشجّع على العنف، فضلًا عن إمكانيّة تعرّضهم للابتزاز وغيرها من المخاطر كضعف التواصل مع الأهل، والعيش في عالم افتراضي يقتل تنمية العديد من المهارات لديهم، والتي يحتاجونها في حياتهم الواقعيّة. ولعل أبرز هذه المخاطر وقوع الأطفال «ضحية مرض نفسي جديد يحمل اسم (Nomophobia) والتي تعني حرفيًّا (no mobile phone phobia)»[1]. ويُقصد بـ«النوموفوبيا» الخوف من أن يكون الهاتف خارج التغطية والاتّصال، كما تعني الخوف من عدم امتلاك الهاتف الذكي أو عدم تواجده أو أن يكون الشخص بعيدًا منه، حيث يُصاب الفرد بالقلق نتيجة نفاذ الرصيد أو شحن البطارية، أو عدم توافر شبكة الاتصال، ما يؤثّر على مستوى تركيزه وأدائه[2]. وكلّها مؤشّرات تدلّ على التبعيّة النفسيّة والإدمان على استخدام الهاتف.

في 2 شباط 2025، أشار تقرير أعدّته «مؤسّسة أميرة ويلز الملكيّة للطفولة المبكرة»، إلى أن استخدام البالغين للهواتف أثناء تفاعلهم مع أطفالهم يمكن أن يُعيق تطوير

(1) حَمَدْ عواجي ولي حكمي: **مستوى إدمان الهواتف الذكية ومخاطرها لدى المراهقين والمراهقات بالمدارس الثانوية في بمنطقة جازان**، مجلة **التربية**، جامعة الأزهر، العدد 192، الجزء 5، أكتوبر 2021، ص 268.

(2) Dixit, S; Shukla, H. & al.: **A study to evaluate mobile phone dependence among students of a medical college and associated hospital of central India**, Indian Journal of Community Medicine, vol35, Issue 2, Avril 2010, p 339341-.

مهارات التواصل لدى هؤلاء الأطفال. ويؤكّد التقرير على أهمّيّة التواصل البصري والتفاعل المباشر لمساعدة الأطفال في التعبير عن أنفسهم وتطوير مهاراتهم الاجتماعيّة والعاطفيّة، وكذلك مهارات التواصل لديهم[1].

ضمن هذا السياق، يمكن أن يؤدّي الاستخدام المفرط للهواتف الذكية إلى الإدمان عليها، وهذا الأمر له انعكاسات سلبيّة على التحصيل العلمي في المدرسة، وعلى الصِّحَّتَين النفسيّة والجسديّة للفرد. فقد تؤدّي عند الأطفال للتراجع في تحصيلهم المدرسي بسبب قلّة التركيز على شرح المعلم وضعف الانتباه أثناء تواجده في الصفّ، بسبب انشغاله الفكري بما يحصل الآن على بعض المواقع الإلكترونية التي يتابعها، أوتفكيره بالألعاب الإلكترونية، وما هي الاستراتيجيّات الأفضل ليتمكّن من التغلّب على الزملاء المنافسين له عند العودة إلى المنزل. كما يمكن أن يكون ضعف التركيز في الصفّ بسبب النعاس، حيث يسهر بعض الأطفال لوقت متأخّر، فيشعرون بالنعاس أثناء تواجدهم في المدرسة. وقد أكّدت رابطة أطّباء الأطفال والمراهقين في ألمانيا أن عدم قدرة الطفل على التمتّع بنوم هانىء ليلًا، يؤدّي «إلى ظهور بعض الأعراض، مثل التعب أثناء النهار، ضعف التركيز، والعصبيّة وسرعة الاستثارة والعدوانيّة، وتراجع الرغبة في استذكار الدروس»[2].

من الناحية الجسدية، قد يسبّب الإدمان على الهواتف الذكيّة مشاكل في النظر، تصلّب الرقبة، انحناء في الظهر، آلام في الرسغ أو الظهر وغيرها.

أما من الناحية النفسيّة، قد يؤدّي الإدمان على الهواتف الذكيّة إلى تدنّي تقدير الذات، القلق واضطرابات في النوم، أو العزلة الاجتماعيّة وضعف العلاقات الواقعيّة

(1) Eccles, Louise; Nikhhah, Roya: **Kate charity tells parents: look at your children, not your phone**, retrieved 32025/2/, on: https://archive.ph/iVtmI#selection-1683.01687.269-.

(2) لا اسم: **ما مدة النوم المثالية للأطفال في مرحلة التعليم المدرسي**، موقع **قناة الجزيرة** الإلكتروني، نُشر في تاريخ 21/ 1/ 2023، شوهد في 3/ 2/ 2025، على الرابط: https: / /goo.su /gs6GU.

مع الآخرين، ما يجعله انطوائيًّا وقد يصل البعض لحالة من الرِهاب الاجتماعي وتجنّب التفاعل مع الآخرين، أو بأحسن الأحوال، يعجز عن التفاعل السليم مع المحيطين به ويفتقر لمهارة التواصل الفعّال معهم. من هنا، نطرح التساؤل الرئيس التالي:

لأي مدى يُسهم الإرشاد والتوجيه النفس ـ اجتماعي في تنمية مهارة التواصل عند الأطفال بعمر **(9–13)** سنة، من مدمِني استخدام الهواتف الذكيّة في منطقة المتن؟ وكيف يمكنه خفض درجة الإدمان لديهم؟

ح. النظريات العلمية

فيما يأتي سنعرض لأبرز النظريّات العلميّة التي تبنّتها الدراسة، وهي:

1. نظرية التعلّق

يُعدّ «جون بولبي» (Bowlby, 1907–1990)، من أوائل العلماء الذين تناولوا بالدراسة علاقة الطفل التفاعليّة بوالدَيْه، ولا سيّما علاقته بأمّه. فهو «يبحث عن الإشباع من خلال الاتّصال الجسدي بالأمّ، فهذا الاتّصال يعطي الطفل شعور بالأمان ويخفّف الخوف لديه»[1]، الذي يزداد عند غيابها. وتشير الأبحاث إلى أن التعلّق «يضع أساسًا لعلاقات الفرد المستقبليّة ويحدّد اتجاهاته نحو ذاته والآخرين، بل ونحو الحياة بشكل عام. فالطفل عندما يتفاعل مع مقدّم الرعاية فإنه يبني توقّعات أوّليّة حول نفسه، وحول الآخرين، ويحدّد علاقاته الشخصيّة، وذلك بالاعتماد على تفاعل الشخص المتعلّق به واستجاباته لحاجاته، وبمرور الوقت تقوى هذه التوقّعات وتُدمَج في نماذج ذهنية عاملة لعلاقاته المستقبلية. ورغم أن هذه النماذج تبقى مفتوحة للخبرات الجديدة عندما يتفاعل الطفل مع أشخاص جُدُد، إلا أنّها، مع ذلك، تتّجه نحو الاستقرار والثبات لأن الطفل يختار شركاءه ويشكّل علاقاته الجديدة بطريقة تنسجم مع النموذج الذهني

(1) فؤاد أحمد محمد أبو شنار: **فاعليّة برنامج إرشادي يستند إلى نظريّة بولبي في تخفيف مستوى قلق الانفصال لدى عيّنة من أبناء المطلقين في قضاء ماعين**، المجلة **العربية للقياس والتقويم**، العدد5 ، يناير 2022، ص 226.

الموجود لديه»[1].

يعتقد «بولبي» أن للأمّ، أو البديل عنها، دور بارز في تشكيل شخصيّة الطفل. فالعلاقة التي تتّسم بالدفء والعاطفة تعمل على «تشكيل رابطة تعلقيَّة آمنة بين الطفل وذويه، ممّا يساهم في وضع البذور الأولى للتوافق والصحة النفسية»[2].

حسب هذه النظرية، إن الأشخاص الذين يعانون القلق أو الشعور بعدم الأمان في علاقاتهم مع المحيطين بهم، أو الشعور بالوحدة النفسية، قد يلجؤون إلى الهاتف الذكي كوسيلة للهروب من مشاعرهم السلبيّة أو لتعويض نقصٍ ما يعانونه في التواصل الاجتماعي الحقيقي. أيضًا، وبالاستناد إلى هذه النظرية، إنّ الحاجة الملحّة والقسريّة لدى بعض الأطفال لتفقّد هواتفهم (حتى عندما لا يكون هناك سبب واضح لذلك)، سببها أن الهاتف يمنحهم شعورًا مؤقّتًا بالاتّصال والاطمئنان ويُبعد عنهم شبح الوحدة النفسية.

2. النظريّة السلوكيّة

تبعًا لطروحات هذه النظريّة، إن سلوك الفرد مُتعلَّم وهو نتاج مُثير معين، وهناك قابليّة لتعديله. إنه بمثابة استجابة يمكن تعديلها من خلال التعزيز والنمذجة. يُقصد بالتعزيز إثابة معيّنة يتلقّاها الفرد على سلوك قام به، وهي شرط ضروري لحصول تكرار السلوك. والتعزيز أنواع، قد يكون لفظيًّا أو غير لفظي، معنويًّا أو ماديًّا، إيجابيًّا أو سلبيًّا، فوريًّا أو مؤجّلًا. كما إنه «قد يحدث بشكل طبيعي كنتيجة لتفاعلاتنا اليومية مع بيئتنا الاجتماعيّة والفيزيقيّة، أو قد يُخطَّطُ له كجزء من برنامج تعديل

(1) معاوية محمود أبو غزال: **نظريات التطور الانساني وتطبيقاتها التربوية**، دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان، 2007، ص 200.

(2) نعيمة بنت فهد بن ابراهيم الوهيب؛ عمر بن عبد الرحمن المفدى: **أنماط التعلّق وعلاقتها بالتوافق الشخصي والاجتماعي في مرحلة الطفولة من وجهة نظر الأمّهات**، مجلة **كلية التربية**، جامعة أسيوط، المجلد 38، العدد 4، الجزء الثاني، أبريل 2022، ص 253.

السلوك المُستخدَم لتغيير سلوك الفرد»[1]. أما النمذجة، فهي «إحدى العمليّات الهامة (المهمّة) في عمليّة بناء تعديل السلوك الإنساني وتقويمه، وهي عمليّة تغيير للسلوك نتيجة ملاحظة سلوك شخص آخر، وهي عمليّة أساسيّة في التعلّم الإنساني لأننا نتعلّم معظم سلوكيّاتنا من خلال ملاحظة الآخرين وتقليدهم. وكثيرًا ما تكون عمليّة التعلّم بالتقليد أو النمذجة عمليّة عفويّة لا حاجة لتصميم برامج خاصّة لحدوثها بالنسبة للطفل العادي. فالطفل الصغير يقوم بتقليد نموذج الأب وكذلك الفتاة تقوم بتقليد نموذج الأم...»[2].

وحسب وجهة نظر «بورهوس ـ فريدريك سكينر» (1904 ـ 1990)، إن الفرد يقوم بالسلوك بهدف الحصول على مكافأة معيّنة سواء ماديّة أو معنويّة من خلال التعزيز، وهذا يتشابه مع سلوك الإدمان على المواد المخدّرة وما تولّده من شعور بالسعادة والمتعة النفسيّة، ما يساهم بتعزيز سلوك الإدمان للحصول على المزيد من السعادة. أضف إلى ذلك، أن استخدام الهاتف الذكي طريقة سهلة وبسيطة للهروب من الواقع والحصول على معزّزات تسعده وتُنسيه ما يُقلقه. كما أن الإدمان، قد يكون عند الطفل نتيجة النمذجة وتقليد سلوك الأهل أو الأخوة الأكبر منه أو حتى الرّفاق.

3. النظريّة المعرفيّة والعلاج السلوكي العقلاني الانفعالي(REBT)

تركّز النظريّة المعرفيّة على كيفيّة اكتساب الأفراد للمعارف والمعلومات، وكذلك كيفيّة معالجتهم لها. لذلك، هي تعدّ أن الشرط الأساس لفهم سلوك الأفراد، يتطلّب فهم العمليّات العقليّة كالإدراك والانتباه والتحليل والتركيب

(1) فيصل محمد خير الزراد؛ مراد علي عيسى سعد: **تعديل السلوك، المبادىء والإجراءات**، دار الفكر، عمَّان، 2014، ص 99.

(2) جمال عبد العاطي محمد حلمي: **النمذجة السلوكية وتعديل السلوك**، موقع **أريد** الإلكتروني، نشر في تاريخ 6/ 3/ 2022، شوهد في 3/ 2/ 2025، على الرابط: https: / /goo.su /cbCz6.

والتذكر... إلخ. ويعتقد روّادها أن العمليّات المعرفيّة تتأثّر بالخبرات السابقة والمعتقدات والتوقّعات.

في علم النفس، يستخدم كلٌّ من العلاج السلوكي المعرفي (CBT)، والعلاج السلوكي العقلاني الانفعالي (REBT)، الذي ينبثق من النظريّة العلميّة التي طرحها «ألبرت إليس» (Ellis, 1913-2007). مبادىء ومفاهيم النظريّة المعرفيّة لمساعدة الأفراد على تغيير أنماط تفكيرهم بغية تغيير أنماطهم السلوكية. وهويرى «أن السبب وراء الانفعال والسلوك هو أفكار الفرد واعتقاداته»[1]. ويهدف هذا الأسلوب من العلاج إلى «تعديل إدراكات المسترشد ليحلّ محلّها طرق تفكير ملائمة من أجل إحداث تغييرات معرفيّة وانفعاليّة وسلوكيّة»[2].

ضمن هذا السياق، سوف يُستعان بهذه النظريّة في هذه الدراسة من خلال محاولة معرفة دور الأفكار والمعتقدات في تطوّر الإدمان عند أفراد الفئة المستهدفة. فمثلًا، قد يعتقد الطفل أن استخدام الهاتف الذكي يساعده على الهروب من مشاعره السلبيّة أو أنّه الطريقة الأنسب للتواصل مع الآخرين.

في الحقيقة، تساعد هذه النظريّة في فهم أسباب الصعوبة التي يواجهها بعض الأفراد في تغيير سلوكهم تجاه استخدام الهاتف، حتى عندما يدركون المشاكل التي يُسبّبها الإدمان. لذلك، هم بحاجة إلى تغيير أفكارهم ومعتقداتهم «الخاطئة» التي تدعم هذا السلوك الإدماني.

(1) سامية أريعم: **نقد نظرية ألبرت إليس(نظرية العلاج العقلاني الإنفعالي)**، مجلة **الدراسات والبحوث الاجتماعية**، جامعة الشهيد حمد لخضر، الوادي، العدد 19، نوفمبر 2016، ص 260.

(2) مسعودة سالمي؛ الطاهر سعد الله: **العملية الإرشادية وفق نظريّة ألبرت إليس للإرشاد العقلاني الانفعالي**، مجلّة **الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، المجلد 14، العدد 1، مارس 2022، ص 164.

ثانيًا. أسباب الإدمان على الهواتف الذكية

بشكل عام، تتعدّد أسباب السلوك الإدماني عند الأفراد، ومنهم الأطفال. فيما يلي سنعرض لأبرزها، وهي:

- توافر «المعايير الثلاثة للاستخدام التي حدّدها دوبوا (Dubois, J-M)، بقوله: كي يقوم المستخدمون باستخدام منتج ما، ينبغي أوّلًا أن يستجيب هذا المنتج لحاجة (بمعنى أن يكون مفيدًا)، ثم بعد ذلك أن يتحكّم في استعماله (بمعنى أن يكون قابلًا للاستخدام)، وأخيرًا أن يكون في متناولهم (بمعنى متوفر للاستخدام)»[1].
- الحاجة إلى الاهتمام والحنان، وأحيانًا الافتقار إلى العلاقة الإيجابيّة مع الوالدَيْن أو معهم ومع الإخوة، وكذلك، الافتقاد إلى الاستقرار العائلي والتفاعل داخل الأسرة حيث يعيش كلّ فرد منها في عالمه الخاص.
- التعلّق الوالدي غير الآمن والشعور بالوحدة النفسيّة. تثبت الأبحاث العلمية، استنادًا إلى نظرية «بولبي»، تأثير «التعلّق الذي يتطوّر أثناء مرحلة الطفولة على العديد من جوانب الحياة بعد ذلك، ويمكن تصنيفه إلى تعلّق آمن وتعلّق غير آمن»[2]. كما تؤكّد الدراسات على فكرة «أن العلاقة بين الرضيع ﴿وأمه﴾ أو مقدّم الرعاية الأساسي هو أمر حاسم لتنمية التعلّق الآمن والتطوّر اللاحق للقدرة على تكوين علاقات شخصيّة مع الآخرين آمنة وتتمتّع بالصحّة النفسيّة»[3]، في التفاعل الاجتماعي للفرد مع بيئته. وانطلاقًا من أن «الأفراد

(1) عبد الوهاب بوخنوقة: **المدرسة، التلميذ والمعلم وتكنولوجيّات الإعلام والاتصال، التمثُّل والاستخدامات**، أطروحة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2007، ص 53-52.

(2) Kim, E., Koh,E.: **Avoidant attachment and smartphone addiction in college students: The mediating effects of anxiety and self- esteem**, Journal **Computers in Human Behavior**, Issue 84, p 264271-.

(3) علي محمد علي البسيوني بشار: **التعلّق الوالدي وعلاقته بإدمان الهاتف الذكي والوحدة النفسية لدى طلاب الجامعة، دراسة سيكومترية-إكلينيكية**، مجلة **كلية التربية** – جامعة بنها، العدد 132، جزء 1، أكتوبر 2022، ص 419.

الذين لديهم تعلّق غير آمن، يُظهرون بشكل خاص صعوبات في التقبّل الاجتماعي، والانفتاح على الآخرين، ويُظهرون في نفس الوقت رغبة واضحة في التواصل مع الآخرين، يمكن الافتراض أن المكوّن التعويضي الاجتماعي لهم يكمن في الاستخدام المفرط للهواتف الذكيّة، حيث يستخدم هؤلاء الأفراد الهاتف الذكي للتعويض عن عجزهم الحقيقي فيما يتعلّق بالعلاقات الشخصية. كما يسمح أن عدم الكشف عن الهويّة على الإنترنت يتيح لهم بإنشاء تَمَثُّل جديد للذّات، ممّا قد يسمح لهؤلاء الأفراد بالتعويض عن مشكلات القبول الحقيقية»[1].

- الرغبة بإشباع بعض الحاجات النفسيّة والاجتماعيّة والتعليميّة. وحسب نظريّة الاستخدامات والإشباعات، إن الحاجة للاتّصال تتفاعل مع العوامل الاجتماعيّة والنفسيّة كاتجاهات الفرد الفكريّة وطباعه وشخصيّته حتى يتسنّى له إشباع حاجاته. فالأفراد يستطيعون «دائمًا تحديد حاجاتهم ودوافعهم، وبالتالي يختارون الوسائل التي تُشبع تلك الحاجات»[2].
- الشعور بالملل والتواصل مع الرفاق، ما يشكّل دافعًا قويًّا لإدمان الطفل على استخدام الهاتف الذكي.
- انخفاض تقدير الذات والقلق الاجتماعي وعدم قدرة الفرد على إقامة علاقات ناجحة مع الآخرين بسبب الخجل أو الانطوائية والعزلة.
- الهروب من الواقع الاجتماعي[3]، وما يُحيط بالطفل من قوانين وأنظمة تُقيّده، إذ يجد في التواصل الافتراضي فرصة للحرّيّة والتعبير عمّا يريد، سواء من خلال

(1) Eichenberg, C., & al.: **Comparison of students with and without problematic smartphone use in light of attachment style**, Journal **Frontiers in psychiatry**, vol. 10, Issue 681, p16-.

(2) عماد مكاوي؛ ليلى حسين السيد: **الاتّصال ونظريّاته المعاصرة**، الدار المصرية المعاصرة للنشر، القاهرة، 2002، ص 241.

(3) Severin, W., Taknard, W.J.: **Communication theories origins, methods and uses in the mass media**, Longman, White Plains, New York, 2007,p222.

اللعب أو الكتابة أو تفريغ مشاعره لأحد الأصدقاء.

- انشغال الأهل بأعمالهم اليوميّة، ومنحهم الهاتف للطفل ليتسلّى ببعض الألعاب الموجودة فيه ريثما ينتهون من أعمالهم.
- الظروف الأمنية غير الآمنة والحروب المتكرّرة في لبنان، دفعت بعض الأهل لشراء هاتف لأطفالهم ليبقوا على اتّصال دائم معهم أثناء تواجدهم خارج المنزل. وتجدر الإشارة إلى أن وجود هاتف بين يدَي الطفل كملكيّة خاصة له، يشجّعه على الإدمان كونه يرافقه طوال الوقت، والطفل لديه فضول كبير، فإن شاهد أمرًا مثيرًا لن يستطيع السيطرة على فضوله وسيستمر بالمشاهدة دون أن يشعر بمرور الوقت.
- الهروب من الإحباطات أو العثرات التي مرّ بها الطفل أثناء يومه في المدرسة أو المنزل، وكل المشاعر السلبيّة الناجمة عن مواقف الحياة الضاغطة عليه، حيث كلّما ازداد الضغط النفسي، ازداد بالمقابل، استخدامه للهاتف الذكي بغية الحصول على متعة بديلة عن المشاعر السلبيّة، ما يُحقق له السعادة والرضا، ونسيان مشاكله. وبذلك، يتجاهل الواقع وقساوته.
- جائحة كورونا التي أجبرت المدارس على التعليم الافتراضي، فكان بعض الأطفال يدرسون باستخدام الهاتف الذكي، واستخدامه لوقت يستمرّ عدة ساعات يوميًّا، من شأنه أن يشجّع على الإدمان عليه.
- طبيعة بعض الألعاب التي تمنح مكافآت للطفل عندما يربح التحدّيات، ما يولّد عنده السعادة والرغبة بالمزيد من الأرباح، فيشجّعه على سلوك الإدمان.
- أسلوب الرعاية الوالديّة للطفل، إذ كلّما كان الأسلوب يتّسم بالإهمال والتفرقة بين الأبناء والتسلّط، كلما ازداد توتّر الطفل وقلقه، ما يجعل هذه الظروف العائليّة عاملًا مساعدًا للإدمان على استخدام الهاتف الذكي.

أما بالنسبة للمسترشدين، فقد كان السبب في الإدمان على الهاتف الذكي عند

المسترشدة الأولى الخجل والعزلة الاجتماعية، بسبب صورة الجسد السلبيّة وضعف الثقة بالنفس نتيجة تعرّضها للتنمّر بسبب بدانتها وضعف تحصيلها العلمي.

أما المسترشدة الثانية، كان سبب السلوك الإدماني ضعف الرقابة الوالديّة وانشغال الأم بإعداد الطعام وتدريس الإخوة الأصغر سنًّا عند عودتها من العمل، والهروب من الشعور بالإحباط نتيجة الغيرة من الإخوة الأصغر سنًّا وخلافاتهم الدائمة في الأسرة.

في حين أن السبب عند المسترشدة الثالثة هو جائحة كورونا والشعور بالملل والتمييز في المعاملة بينها وبين أخيها الذكر الأصغر منها. وتجدر الإشارة إلى أنّها تعيش في أسرة مع زوجة أبيها وأنها تعرّضت لتجربة التعلّق غير الآمن في طفولتها أثناء فترة طلاق والدَيْها، كما أن والدها وزوجته يعملان وليس لديهما الوقت الكافي للاهتمام بها، واصطحابها لزيارة رفاقها، فيكون الهاتف وسيلة للتّواصل معهم، وكذلك للترفيه والتسلية.

أما بالنسبة للمسترشدين الذكور، نجد أن السبب في إدمان المسترشد الأول على استخدام الهاتف الذكي، المزاج السلبي والشعور بالوحدة كونه الولد الوحيد (لا إخوة له)، وهناك فرق كبير بالسنّ بينه وبين أهله.

وفي ما يخصّ المسترشد الثاني، فالسبب هو التشاجر الدائم مع الإخوة وصعوبة التعبير عن المشاعر واستسهال العنف اللفظي في التفاعل معهم.

في حين أن المسترشد الثالث كان سبب إدمانه على الهاتف الذكي التعرّض للتهميش في المدرسة بسبب عصبيّته وعناده في التعامل مع رفاقه. غير أن السبب المشترك عند الجميع هو ضعف الرقابة الوالديّة والحاجة لمزيد من الاهتمام وعند البعض منهم الضعف في الرغبة بالتواصل مع المحيط.

ثالثًا. مؤشّرات الإدمان على الهواتف الذكيّة

استناداً إلى العديد من الدراسات والأبحاث العلميّة في الدول الغربيّة والعربيّة، تبيّن أن هناك عدّة مؤشّرات تدلّ على أن الطفل قد أصبح مدمنًا على استخدام الهاتف الذكي، نذكر منها:

- الاستخدام القهري[1]، بحيث يشعر الطفل أن هناك دافعًا قويًّا (يعجز عن مقاومته)، يحثّه على استخدام الهاتف، بالرغم من عدم وجود مُبَرِّر لذلك.
- سلوكيّات متكرّرة تتعلّق بالهاتف دون سبب موضوعي، كالتحقّق المستمرّ من الرسائل أو التحديثات، بالرغم من عدم وصول إشعار بذلك.
- الولع بالهاتف وتزايد رغبة الطفل باستخدام الهاتف وبشكل مستمرّ.
- التفكير المفرط في استخدام الهاتف وماذا يحصل على المواقع، حتى عندما يكون في المدرسة أو في غير أوقات استخدامه.
- الرغبة بالعزلة الاجتماعية ومحاولة الابتعاد عن الآخرين، حتى وإن كان موجودًا بينهم، ما «يسبّب لهم ضعفًا في العلاقات الاجتماعية ونقص العدد الكافي من الأصدقاء والأقارب، فيخلق صعوبة في الاندماج والارتباط بالآخرين»[2].
- الشعور بالضيق النفسي والتوتّر والغضب عند عدم استعمال الهاتف.
- التأثير سلبًا على أنشطة الحياة اليوميّة، حيث يهمل المهام المطلوبة منه والأعمال التي اعتاد على القيام بها، كمتابعة الطفل لدروسه لصالح استخدام الهاتف الذكي.

---

(1) Alageel A.A, Alyahya, R.A. & al**.: Smartphone addiction and associated factors among postgraduate students in an Arabic simple, A cross-sectional study**, Journal **BMC Psychiatry**, vol 21, Issue 1, p: 2.

(2) كنزة قوطال؛ أحمد فلاق: **العزلة الاجتماعية لدى مستخدمي الهواتف الذكية، دراسة مسحية تحليلية على عيّنة من الشباب المستخدمين للهواتف الذكية بمدينة مليانة**، مجلة **آفاق لعلم الاجتماع**، ديسمبر2015، المجلد 5، العدد 2، جامعة الجزائر 3، ص 438 ـ 439.

- ضعف في العلاقات الاجتماعية والتواصل[1]، لا سيّما مع المحيطين به.
- تجاهل العواقب الضارّة للإفراط في استخدام الهاتف.
- عدم القدرة والعجز عن التحكّم بالذّات عند الرغبة باستخدام الهاتف.
- ضعف الإنتاجية وسيطرة مشاعر القلق[2].
- عدم الوضوح، وأحيانًا الكذب، في إجابته عن الأسئلة المتعلّقة بالوقت الذي يستغرقه في استخدام الهاتف. كما أنه يعجز عن التحكّم أو التقليل من الوقت الذي يستخدم فيه الهاتف.
- الغضب والتوتّر الشديدان عند منعه من استخدام الهاتف.
- التوتّر والقلق الزائدان وفقدان الصبر عند انقطاع خدمات الإنترنت نتيجة عطل معيّن.
- تبدّل الأولويّات وإعطاء استخدام الهاتف الأولويّة على حساب بعض النشاطات الحياتيّة كالدراسة.

رابعًا. أدبيّات الدراسة

فيما يلي سنعرض أبرز الدراسات التي تناولت موضوع إدمان الأطفال على الهواتف الذكيّة، وسنبدأ بعرض للدراسات التي تناولت الموضوع.

أ. الدراسات العربية

تعدّدت الدراسات الصادرة باللغة العربية، ومنها:

- دراسة دينا داود محمد المولى، بعنوان: **إدمان الأطفال على الهواتف الذكية**

(1) Lin, Y.H., Chiang, C.L. & al.: **Proposed diagnostic criteria for smartphone addiction**, Journal **PloS one**, vol11, Issue 11,p 1.

(2) Bian, M., Leung, L**.: Linking loneliness, shyness, smartphone addiction symptoms, and patterns of smartphone use to social capital**, journal **Social Science Computer Review (SSCR)**, vol33, Issue 1, p: 68.

ورقابة الآباء من وجهة نظر اساتذة كلية التربية للبنات (2023)[1]. هدفت الدراسة لمعرفة أسباب إدمان الأطفال على الهاتف وعدم رغبتهم بالخروج من المنزل. تكوّنت العيّنة من **(100)** أب وأم عراقيَّيْن، بتقسيم **(90)** رجل و **(10)** نساء، تتراوح أعمارهم ما بين **(30–47)** سنة. لديهم أطفال من مرحلة ما قبل المدرسة وبلغت نسبتهم **(18٪)**، وأطفال في مرحلة الروضة ونسبتهم **(22٪)**، وأطفال في سنّ المدرسة كانت نسبتهم **(60٪)**. استخدمت الاستمارة لجمع البيانات من أفراد العيّنة، كما اعتمدت على منهج المسح الاجتماعي. أظهرت نتائج الدراسة أن أسباب استخدام أطفالهم للهاتف الذكي متعدّدة، ولكن السبب الرئيس هو انشغال الوالدَيْن بأمور الحياة وضغوطات العمل، وبلغت نسبته **(50٪)**، ثم تلاه الهروب من الروتين اليومي **(25٪)**.

- دراسة عائشة هليل محمد عبد الله المجادعة، بعنوان: **إدمان الأطفال على الأجهزة الذكية وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية المدركة من قبل الأمهات (2023)**[2]. تسعى الدراسة لمعرفة مدّة إدمان الأطفال على الأجهزة الذكيّة وعلاقتهم بأساليب المعاملة الوالديّة المدركة من قِبَلِ الأمّهات. تكوّنت عيّنة الدراسة من **(300)** أم، لديهنّ أطفال تتراوح أعمارهم بين **(8–12)** سنة، في مدينة أبها. أما بالنسبة للمنهج والأدوات، فقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي، ومقياسَيْن هما: مقياس إدمان الأطفال على استخدام الأجهزة الذكيّة، ومقياس أساليب المعاملة الوالديّة المدركة في قِبَلِ الأمّهات. أظهرت النتائج أن إدمان الأطفال على استخدام الأجهزة الذكيّة في البُعدَيْنِ النفسي والدراسي كان فوق المتوسّط، وفي البُعدَيْنِ الأُسَري والاجتماعي والأبعاد الثلاثة معًا أقلّ

(1) دينا داود محمد المولى: **إدمان الأطفال على الهواتف الذكية ورقابة الآباء من وجهة نظر أساتذة كلية التربية للبنات**، مجلة **لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية**، جامعة واسط،، المجلد 15، العدد 1، كانون الثاني 2023، ص .460

(2) عائشة هليل محمد عبدالله المجادعة: **إدمان الأطفال على الأجهزة الذكية**، مرجع سابق، ص77.

من المتوسّط على مقياس إدمان الأطفال على الأجهزة الذكيّة، وأنّ الأمّهات تمارسنَ أساليب المعاملة الوالديّة (الديمقراطية والرعاية والمساواة)، وأساليب المعاملة الوالديّة الثلاثة معًا بدرجة أقلّ من متوسّط مع أبنائهنّ، ووجود فروق ذات دلالة إحصائيّة عند مستوى **(0.05)**، في إدمان الأطفال على استخدام الأجهزة الذكيّة وفقًا لمتغيّر المستوى الثقافي في البُعد النفسي والبُعد الأسَري والبُعد الاجتماعي والبُعد الدراسي، وفي كل الأبعاد معًا، لصالح مستوى الثقافة الجامعيّة والدخل المتوسّط. ووجود فروق ذات دلالة إحصائيّة عند مستوى **(0.05)**، في أساليب المعاملة الوالديّة وفقًا لمتغيّر المستوى الثقافي في أسلوب المعاملة الديمقراطيّة والرعاية والمساواة لصالح مستوى الثقافة الجامعيّة. ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى **(0.05)**، في أساليب المعاملة الوالدية وفقًا لمتغيّر المستوى الثقافي في أساليب المعاملة الوالديّة معًا. كما لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى **(0.05)** في أساليب المعاملة الوالدية وفقًا لمتغير الدخل المعيشي في أساليب المعاملة الوالديّة (الديمقراطية والرعاية والمساواة) وفي أساليب المعاملة الوالدية الثلاثة معًا. إنّما توجد علاقة ذات دلالة إحصائيّة بين إدمان الأطفال على استخدام الأجهزة الذكيّة في البُعد الاجتماعي وأساليب المعاملة الوالديّة الديمقراطيّة، الرعاية والمساواة، بينما لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائيّة بين إدمان الأطفال على استخدام الأجهزة الذكيّة في البُعد الاجتماعي وأساليب المعاملة الوالديّة الثلاثة معًا.

- دراسة أسماء باسم وإيمان عبد الرحمن (2017ـ2018)، وهي بعنوان: **التأثيرات السلبيّة لاستخدام الهواتف الذكيّة على الأطفال من وجهة نظر الأمهات**[1]. هدفت

(1) أسماء باسم؛ إيمان عبد الرحمن: **التأثيرات السلبية لاستخدام الهواتف الذكية على الأطفال من وجهة نظر الأمّهات: جنين والباذان نموذجًا**، جامعة النجاح الوطنية، كليّة الاعلام، قسم الصحافة المكتوبة والإلكترونية، نابلس، 2017 2018ـ، ص 36 37ـ. شوهد في تاريخ 3/ 2/ 2025، على الرابط:
https://repository.najah.edu/items/50a85dc7-d7704-c87-a8f31-a9eda6668a8.

الدراسة إلى معرفة مدى وعي الأمّهات بالآثار المختلفة لاستخدام الهواتف الذكيّة على الأطفال من عمر سنتَيْن لغاية تسع سنوات، في بلدتيّ جبع والباذان في فلسطين، وذلك تبعًا لعدّة متغيّرات: عدد الأطفال، عمر الطفل، عمل الأم، عدد ساعات الاستخدام، وملكية الهاتف الذكي. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وتكوَّنَ مجتمع الدراسة من جميع أمّهات هاتَيْن البلدتَيْن. تكوَّنت العينة من (250) أم، اختيرت بطريقة العيّنة الاحتماليّة. جُمعت البيانات في استبيان مكوَّن من (23) فقرة، موزّعة على أربعة محاور هي: محور بيانات اجتماعيّة، محور للبيانات الصحيّة، محور للبيانات السلوكيّة، محور للبيانات المتعلّقة بالرقابة ومتابعة المحتوى. أظهرت نتائج الدراسة أن للهواتف الذكيّة تأثير سلبي على الجوانب الاجتماعيّة والصحيّة والسلوكيّة. وأنها، أضعفت مهارات التواصل عند الأطفال مع الآخرين بنسبة (70.8%)، وجعله خجولًا وانطوائيًّا ومهملًا إلى حدّ ما. كما يعمل الهاتف الذكي على رسم عالم افتراضي للطفل يجعله بعيدًا من الواقع. وكذلك يتسبّب بآلام في الرقبة والرأس وإصابة الطفل بالكسل والخمول، وأن الطفل يصبح عصبيًّا وتظهر لديه سلوكيّات عنيفة ومتمرِّدة. وقد أوصت الدراسة بتقليل ساعات استخدام الأطفال للهواتف الذكيّة وضرورة شغل أوقات فراغ الطفل بأنشطة تُقلِّل من استخدامه للهاتف الذكي.

ب. الدراسات باللغة الأجنبية

إضافة إلى ما ورد من دراسات باللغة العربية، هناك دراسات تناولت الموضوع باللغات الأجنبية، منها:

- دراسة شياوولين تشنغ (Xiaolin Zheng) بعنوان: **Research on the Impact of Smart Phone Use on Children's Socialization Zhengzhou University**,

Zhengzhou, China، جرت في دولة الصين في مدينة أنكيُو (Anqiu)[1]، في العام 2022.

هدفت الدراسة إلى معرفة أثر استخدام الأطفال في سنّ المدرسة للهواتف الذكية على تنشئتهم الاجتماعية ووعيهم الإعلامي بالمضمون المناسب لعمرهم والمفيد لهم. تكوّنت العيّنة من **(200)** طفل، منهم **(130)** ذكرًا، و**(70)** أنثى، من الصفّ الثالث إلى الصف السادس في المدارس الابتدائية، حيث يجمعون بين سلوكيّات التنشئة الاجتماعيّة وسلوكيّات استخدام الهواتف الذكيّة. استخدم الباحثون استبيانًا لتحليل سلوك الأطفال الإعلامي وأبعاده المختلفة من خلال برنامج تحليل البيانات (SPSS). وتجدر الإشارة إلى أن الباحث استخدم المنهج الاستنباطي في دراسته.

أظهرت النتائج أن مستوى الوعي الإعلامي للأطفال في استخدام الهواتف الذكيّة ليس مرتفعًا، حيث يعانون صعوبة في تمييز المحتوى المناسب لهم واختيار الأهداف التي تحقّق فائدة لهم. كما أن توجّههم نحو الترفيه يغلب على باقي الاستخدامات، ما يعوق تطوير مهاراتهم الإعلامية وزيادة آفاقهم. بالإضافة إلى ذلك، تبيّن أن هناك علاقة بين مدة استخدام الأطفال للهواتف الذكيّة ودرجة تفاعلهم الاجتماعي. فالاستخدام المعتدل يسهم في تكوين شخصيّة هادئة لديهم، وتتمتّع بالثقة في النفس، بينما الاستخدام المفرط قد يؤدّي إلى انطوائهم وانعكاسات سلبيّة على صحّة الأطفال العقليّة والبدنيّة.

ورغم أن الهواتف الذكيّة تقدّم للأطفال معلومات تثري فهمهم للمجتمع وتساعدهم على التعرّف على التغيُّرات في بيئتهم، إلّا أن الاستخدام المفرط يمكن أن يُعيق تواصلهم مع بعض أفراد أسرهم أو أصدقائهم، ما يؤثّر سلبًا على تشكيل صورة

(1) Xiaolin Zheng: **Research on the impact of Smart phone use on children's socialization**, Journal **The Frontiers of Society, Science and Technology**, 2022, vol4, issue 6, Published by Francis Academic Press, UK, p 59.

متكاملة عن أنفسهم. كما أن استقبالهم العشوائي للمحتوى الترفيهي والسطحي قد يؤدّي إلى الإدمان، ما يحدُّ من قدرتهم على التمتُّع بالفوائد النفسيّة التي تأتي من القراءة والتعلّم العميق.

- دراسة جنيفر إيهم (Jennifer Ihm) وعنوانها: **Social implications of children's:The role of support networks and social engagement**، وقد جرت في دولة كوريا الجنوبية[1]، في العام 2018.

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة الآثار الاجتماعيّة لإدمان الأطفال على الهواتف الذكيّة. واستندت إلى منهج المسح الاجتماعي، حيث شمل المسح عيّنة تتكوّن من **(2000)** طفل وطفلة في كوريا الجنوبية، يتوزعون بين **(991)** طفلاً و**(1009)** طفلة، بمتوسّط عمر يبلغ **(12)** عامًا. بالنسبة للتقنيّات، تم استخدام برنامج النمذجة الهيكلية للمعادلات (STATA 14)، وقد جرى تحليل العلاقة بين نقص الشبكات الاجتماعيّة لدى الأطفال، إدمانهم على الهواتف الذكيّة، ومستوى مشاركتهم الاجتماعيّة.

أظهرت النتائج أن المتغيّرات المرتبطة بالشبكات الاجتماعيّة، مثل العضويّة في المنظّمات الرسميّة، وجودة العلاقة مع الوالدَيْن، وحجم مجموعة الأقران، ودعم الأقران، تساهم في تقليل إدمان الهواتف الذكيّة. في المقابل، لم يكن لوجود علاقات جيّدة ومشاعر متبادلة مع الأقران تأثير ملحوظ على الإدمان. كما تبيّن أن الأطفال المدمنين على الهواتف الذكيّة يشاركون أقل في الأنشطة الاجتماعيّة.

وتقدّم الدراسة فهمًا مختلفًا لإدمان الهواتف الذكيّة، حيث تركّز على أبعاده الاجتماعيّة وتُعزِّز من الدراسات السابقة التي تناولت العوامل النفسيّة. وتشير النتائج، إلى أن نقص الشبكات الاجتماعية لدى الأطفال قد يعوق التفاعلات الاجتماعيّة

(1) IHM Jennifer: **Social implications of children's smartphone addiction: The role of support networks and social engagement**, Journal of **Behavioral Addictions**, 2018, vol 7, Issue 2, p 473.

المريحة ويوفّر مشاعر الدعم في البيئة الواقعيّة، ما يزيد من رغبتهم في الهروب إلى الهواتف الذكيّة. وفي المقابل، لا يستفيد هؤلاء الأطفال من الوسائل الإعلاميّة لتوسيع حياتهم الاجتماعيّة وزيادة مشاركتهم.

ج. التعقيب على الدراسات السابقة

تتشابه هذه الدراسات مع دراستنا من ناحية دراسة نفس المرحلة العمرية وهي مرحلة الطفولة، واستخدام الأطفال للأجهزة الذكيّة، لا سيّما الهاتف الذكي. وكذلك يبرزالتشابه بأنّها تأخذ وجهة نظر الأهل عمومًا والأمّهات خصوصًا بعين الاعتبار، لمعرفة أسلوب المعاملة الوالديّة ودور الأهل في استخدام الأطفال لهذه التقنيّات الحديثة، سواء كعامل مساعد على هذا الاستخدام بسبب الانشغالات اليومية والمهنية، أو كرقيب يُلزِم الأطفال باستخدام الهاتف لوقت محدّد يوميًا.

أيضًا تتشابه دراستنا مع الدراسة الثانية (المجادعة)، من ناحية اعتمادها في جمع البيانات على مِقياسَيْن هما: مقياس إدمان الأطفال على استخدام الأجهزة الذكيّة، ومقياس أساليب المعاملة الوالديّة المدركة من قِبَلِ الأمّهات، ومن ناحية اعتماد المنهج الوصفي. بينما تختلف من ناحية نوع الدراسة، فالدراسات المعروضة هي دراسات ميدانية ـ بحثية في حين أن دراستنا ميدانية ـ مهنية. كما تختلف من حيث الأهداف، حيث تسعى دراستنا لتنمية مهارة التواصل عند الأطفال مدمِني استخدام الهواتف الذكية، بينما كانت أهداف الدراسات السابقة تسعى لمعرفة أسباب الإدمان وانعكاساته على الطفل دون العمل على تنمية مهارة التواصل.

وكذلك تختلف هذه الدراسة عن الدراسات الآنفة الذكر، من ناحية حجم العيّنة والمناهج المتّبعة، حيث استخدمت دراسة المولى منهج المسح الاجتماعي وكذلك دراسة أيهم (IHM)، واستخدمت دراسة أسماء باسم وإيمان عبد الرحمن المنهج الوصفي التحليلي، في حين أن دراستنا استخدمت منهجَيْن هما المنهج الوصفي والمنهج الإجرائي.

أما من ناحية وسائل جمع البيانات، فقد اعتمدت الدراسات الأولى والثالثة والرابعة على الاستمارة، ولم تستخدم مقاييس أو مقابلات، في حين أنّنا لم نستخدم الاستمارة في دراستنا، بل مقاييس إضافة للمقابلة نصف الموجهة. وأخيراً، تتشابه الدراسات السابقة فيما بينها في كونها دراسات كمّية، وهي بذلك تختلف عن دراستنا التي ما يميّزها أنها نوعيّة وكميّة في آنٍ معًا. ولقد استفدنا من هذه الدراسات في إعداد الجانب النظري وإعداد الإطار المنهجي والخطّة الإرشادية، حيث حاولنا تقديم إضافة معرفيّة وعمليّة تتعلّق بتطوير مهارات التواصل عند الأطفال مدمِني الهواتف الذكيّة، وهذا ما لم تتناوله بعمق هذه الدراسات.

خامسًا. ملخّص عن جلسات الخطّة الإرشادية

لكل خطة إرشادية، مهما تنوَّع موضوعها وأفراد الفئة المستهدفة، يبقى لها هدف عامّ وأهداف خاصّة. فماذا عن هذه الأهداف؟

أ. الهدف العام

تهدف هذه الخطّة الإرشادية إلى تنمية مهارة التواصل عند الأطفال مدمِني استخدام الهواتف الذكيّة، ومحاولة خفض وقت استخدامهم لها، وتوعية أهاليهم حول بعض أساليب التعامل مع أطفالهم كي يساعدوهم على خفض مستوى إدمانهم على الهاتف الذكي، وليعيشوا وفق أسلوب حياة متوازن وصحّي.

ب. الأهداف الخاصة

تشمل تزويد الأطفال بمعلومات عن التواصل الفعّال وسلبيّات الإدمان على الهواتف الذكيّة، وأهميّة ضبط الذات والتعبير عن المشاعر، وتعريفهم بأهميّة التواصل الفعّال لحياة اجتماعيّة متكيّفة.

ج. المهارات

بالنسبة للمهارات التي عملنا على تطويرها لدى الأطفال، من خلال هذه الخطة الإرشادية الجماعية، هي: مهارة التواصل الاجتماعي الفعّال مع الآخرين، مهارة ضبط الذات وإدارتها، مهارة التعبير عن الذات بعيدًا من العنف، وأخيرًا، مهارة إدارة الوقت وتنظيمه.

د. الأساليب والتقنيات الإرشادية

استخدام الإرشاد الجماعي، الإرشاد باللعب، الملاحظة، الحوار والمناقشة، العصف الذهني، لعب الأدوار، التعزيز والنمذجة.

هـ. مدة الجلسات

تراوحت ما بين **(45–60)** دقيقة.

و. الفترة الزمنية

طُبّقت هذه الخطّة الإرشاديّة على مدار تسعة أسابيع، ونفّذت جميعها يوم السبت، مرة واحدة في الأسبوع، استمرّ تطبيقها من 23 تشرين الثاني/ نوفمبر، لغاية 25 كانون الثاني/ يناير، وقد توقّفنا يوم السبت في 28 كانون الأول/ ديسمبر، لمناسبة عيدَي الميلاد ورأس السنة.

ز. عرض الجلسات

لقد قمنا بتنفيذ تسع جلسات إرشادية متنوّعة الأنشطة والمواضيع بهدف التخفيف من استخدام الهواتف الذكيّة، وهي التالية:

- **الجلسة الأولى (جلسة تعارف وبناء العلاقة الإرشادية)**: هدفت لكسر الجليد مع الأطفال (المسترشدين)، وتعريفهم على أهداف الخطّة الإرشاديّة وقوانين الجلسات وأهميّة احترامها لإرساء قواعد العلاقة الإرشادية السليمة وبناء الثقة بيني (الباحثة)

وبينهم، وتحقيق التعارف والإلفة بين المسترشدين أنفسهم والتعبير عن الذات.

- **الجلسة الثانية (التواصل الفعَّال: عناصره، أنواعه)**: هدفها التعريف بمفهوم التواصل الفعّال وعناصره وأنواعه، وأهميّة تعزيزه في العلاقات مع الآخرين وإبراز إيجابيّاته في الحياة اليوميّة.
- **الجلسة الثالثة (تحدّيات ومعوّقات التواصل الفعّال)**: هدف الجلسة معرفة المسترشدين بهذه المعوّقات والعمل على تجنّبها، ومعرفة انعكاساتها السلبيّة على عمليّة التواصل وكذلك على الأفراد.
- **الجلسة الرابعة (أسباب وانعكاسات الإدمان على استخدام الهاتف الذكي)**: هدفت الجلسة إلى تعريف الأطفال على أسباب الإدمان على الهاتف الذكي وأبرز مظاهره وانعكاساته النفس-اجتماعية. كما هدفت لجعلهم يعترفون بإدمانهم ويدركون السبب عندهم، وذلك لاعتقاد الباحثة بأن اقتناع الفرد بوجود المشكلة لديه وإدراكها، هو الخطوة الأولى نحو التخلّص منها.
- **الجلسة الخامسة (جلسة توعوية للأهل)**: الهدف من الجلسة تعريفهم بمفهوم الإدمان على الهواتف الذكيّة، أسبابه وآثاره السلبيّة. إضافة لتعريفهم بأهميّة دور الأهل الرئيس في تشكيل شخصيّة الطفل ومساعدته على التخلّص من الإدمان على الهاتف الذكي، وتوعيتهم حول بعض الاستراتيجيّات التي يجب اتّباعها، كي تساعد الطفل على التخلّص من هذا الإدمان كتخصيص أماكن في المنزل تكون «أماكن خالية من التكنولوجيا» مثل غرفة الطعام، قضاء أوقات ممتعة مع أطفالهم لتعزيز العلاقة بينهم، التشجيع والتوكيد على السلوكيّات الإيجابيّة.
- **الجلسة السادسة (ضبط المشاعر والذات والوقت)**: هدفها هو تدريب المسترشدين على تنمية مهارة التعبير عن مشاعرهم المختلفة وكيفيّة التحكّم بها، بالإضافة الى ما يحتاجونه لتحقيق شعور أفضل. كذلك، تعزيز مهارات

المسترشدين في التفكير المعكوس والمرونة الذهنية، وتعليمهم تقنيات الاسترخاء والتنفّس. فضلًا عن تنمية مهارة إدارة الوقت وتوعيتهم حول أهمية الاستفادة من الوقت.

- **الجلسة السابعة (تطوير مهارات واستراتيجيّات للتعامل مع إدمان الهاتف الذكي)**: هدف الجلسة هو تنمية بعض مهارات المسترشدين وتعزيز هواياتهم الخاصّة ليستفيدوا منها في أوقات فراغهم بدل الاستخدام القهري للهاتف الذكي، ما يساعدهم على مواجهة الضغوطات الحياتيّة، ويسمح لهم بالخروج من عزلتهم والتعرّف على أفراد ذات اهتمام مشترك، ما ينمّي تواصلهم وتفاعلهم الاجتماعي الواقعي. كما هدفت هذه الجلسة إلى تحديد بعض الاستراتيجيّات التي تساعدهم على التخلّص من سلوكيّات الإدمان على استخدام الهاتف وتدريبهم على تطبيقها، كتحديد قائمة بالبدائل الممكنة، أن يُقلل المثيرات مثل إلغاء خاصّيّة الإشعارات، أن يضع قوانين لنفسه مثلًا: عدم استخدام الهاتف أثناء الجلوس مع العائلة، أو أثناء تناول الطعام، وأن يُغيّر بعض العادات كاستخدام الهاتف قبل النوم أو فور الاستيقاظ.
- **الجلسة الثامنة (أسلوب حياتنا سبب نجاحنا)**: هدفت الجلسة إلى جعل المسترشدين يميّزون بين أسلوب الحياة الصحّي والمتوازن وأسلوب حياتهم، فيدركون الفرق بينهما، وأن يدركوا بأن الأسلوب الذي يعيشه الفرد يؤثّر على إنجازاته اليوميّة ونجاحه في الحياة وتحقيقه لطموحاته، فإن أرادوا النجاح عليهم تبديل أسلوب حياتهم والحدّ من وقت استخدام الهاتف الذكي، والنوم ليلًا. أيضًا، سَعَيْنا من خلال هذه الجلسة إلى جعلهم يدركون أن النجاح في الحياة يتطلّب مواجهة الذات وإدراك نقاط القوّة والضعف في شخصيّتنا، والعمل على تعزيز نقاط القوّة والسعي لمعالجة نقاط الضعف.
- **الجلسة التاسعة (جلسة ختامية)**: هدفت الجلسة لمراجعة أبرز ما ورد في الخطّة

الإرشاديّة وتقييمها، وكذلك تطبيق المقياس البَعدي وإنهاء الخطّة.

سادسًا.تطوّر حالة المسترشدين خلال الخطة الإرشادية

بشكل عام، تبيّن أن هناك تطوّرًا خلال تنفيذ الخطة الإرشادية عند المسترشدين فيما يخصّ موضوع التواصل والإدمان على استخدام الهواتف الذكيّة، ويتّضح ذلك من خلال الجدوَلَيْن التاليَيْن:

الجدول الرقم (1)
نتائج التطبيق القَبْلي والبَعْدي لمقياس مهارة التواصل الاجتماعي

اسم المسترشد	مهارة الاستماع		مهارة التحدّث		مهارة القدرة على فهم الآخرين		مهارة إدارة العواطف	
	درجة المقياس القبلي	درجة المقياس البعدي	درجة المقياس القبلي	درجة المقياس البعدي	درجة المقياس القبلي	درجة المقياس البعدي	درجة المقياس القبلي	درجة المقياس البعدي
أ.أ	15	**25**	15	**34**	16	**17**	19	**49**
أ.ب	16	**26**	15	**25**	16	**18**	20	**30**
أ.ج	17	**22**	15	**25**	15	**23**	18	**28**
أ.د	13	**13**	25	**30**	16	**16**	23	**31**
أ.هـ	14	**24**	15	**25**	14	**18**	20	**29**
أ.و	13	**22**	15	**28**	14	**21**	18	**30**

الجدول الرقم (2)
نتائج التطبيق القَبْلي والبَعْدي لمقياس الإدمان على الأجهزة الإلكترونيّة

اسم المسترشد	البُعد النفسي		البُعد الأُسَري		البُعد الاجتماعي		البُعد الدراسي	
	درجة المقياس القبلي	درجة المقياس البعدي	درجة المقياس القبلي	درجة المقياس البعدي	درجة المقياس القبلي	درجة المقياس البعدي	درجة المقياس القبلي	درجة المقياس البعدي
أ.أ	13	**7**	13	**9**	15	**9**	9	**9**
أ.ب	11	**6**	12	**7**	15	**10**	13	**6**
أ.ج	13	**8**	13	**10**	13	**9**	15	**9**
أ.د	7	**6**	12	**9**	13	**9**	10	**7**
أ.هـ	15	**10**	13	**9**	15	**9**	15	**9**
أ.و	11	**7**	12	**9**	15	**9**	13	**6**

- بالنسبة **للمسترشد الأول (أ.أ)**: عندما قمنا بالتطبيق القَبْلي لمقياس مهارة التواصل الاجتماعي، تبيّن أن لديه قصورًا في مهارة التواصل، حيث كان المعدّل الكلّي **(65)** درجة في حين أن المتوسط هو **(96)** درجة. أما عند تطبيق المقياس البَعدي، فقد حصل على الدرجة **(125)**. وكان التطوّر البارز عنده في مهارتيّ التحدّث وإدارة العواطف. أما بالنسبة لمقياس الإدمان على الأجهزة الإلكترونيّة، فقد تبيّن عند تطبيقنا المقياس البَعْدي أن المسترشد تدنّت درجة إدمانه على استخدام الهاتف الذكي **(6)** درجات، وقد احتُسبت بهذه الطريقة **(13–7 = 6)**، وقد اتّضح ذلك بوضوح من خلال الفقرات المتعلّقة بالبُعد النفسي والبُعد الاجتماعي، كما أظهر تحسّنًا مقداره **(4)** درجات في البُعد الأُسَري **(13–9)**، في حين أن درجته في البُعد الدراسي لم تتغيّر، إذ بقيت **(9)** درجات.

- فيما يتعلق **بالمسترشد الثاني (أ.ب)**: تبيّن أن لديه ضعفًا في مهارات التواصل عند التطبيق القَبْلي للمقياس، حيث كانت الدرجة الكلّيّة **(67)**، وارتفعت بعد تطبيق المقياس البَعْدي لتصبح **(99)** درجة، وكان هذا التطوّر بارزًا في مهارات: الاستماع، مهارة التحدث ومهارة إدارة العواطف، حيث تقدّم **(10)** درجات. أمّا بالنسبة لتطبيق مقياس الإدمان على استخدام الأجهزة الإلكترونيّة، فقد تبيّن وجود انخفاض ملحوظ في درجة الإدمان، حيث تدنّت درجته **(7)** درجات في البُعد الدراسي، في حين تساوَى تدنّي درجات إدمانه في البُعدَين النفسي والأُسَري وكذلك البُعد الاجتماعي حيث بلغ **(5)** درجات.
- **المسترشد الثالث (أ.ج)**: اتّضح أن هناك تقدّمًا في مهاراته التواصليّة، إذ حصل على الدرجة الكليّة **(65)** درجة عند التطبيق القَبْلي للمقياس، ثمّ ارتفعت الدرجة إلى **(98)** في تطبيقه البَعْدي. وكان التقدّم الملحوظ في مهارة التحدّث ومهارة إدارة العواطف، حيث تقدّم **(10)** درجات. ثم في مهارة القدرة على فهم الآخرين، إذ تقدّم **(8)** درجات. كما تقدّم **(5)** درجات في مهارة الاستماع. وعند تطبيق مقياس الإدمان على الأجهزة الإلكترونية، تبيّن، كذلك، أن هناك تطوّرًا إيجابيًّا بلغ **(6)** درجات في البُعد الدراسي، تلاه التحسُّن في البُعد النفسي **(5)** درجات، ثم البُعد الاجتماعي **(4)** درجات، وأخيرًا البُعد الأُسَري **(3)** درجات. وبهذا، يكون قد حقّق هذا المسترشد تقدّمًا في جميع الأبعاد.
- **المسترشدة الرابعة (أ.د)**: تبيّن ارتفاع في مستوى مهارات التواصل لديها خلال الخطة الإرشاديّة، فعند تطبيق المقياس القَبْلي لمهارات التواصل حصلت على الدرجة **(77)** وهي دون المتوسّط. أما بعد تطبيق المقياس البَعْدي، فتحسّنت درجتها وأصبحت **(90)** درجة. وقد انحصر التطوّر في مهارتيّ التحدّث وإدارة العواطف لديها. وبالنسبة لتطبيق مقياس الإدمان على الأجهزة الذكيّة، تبيّن أن درجة إدمان المسترشدة على استخدام الهاتف الذكي قد تراجعت، وكان

التطوّر الحاصل في البُعد الاجتماعي، حيث تقدّمت (4) درجات، ثم تساوت درجة تطوّرها في البُعدَيْن الدراسي والأُسَري، حيث تقدّمت (3) درجات، كما تطوّرت في البُعد النفسي درجة واحدة فقط.

- **المسترشدة الخامسة (أ.هـ)**: في التطبيق القَبلي لمقياس مهارة التواصل الاجتماعي، بلغت الدرجة الكلّيّة (63) درجة. التحسّن الحاصل عندها، كان في مهارتيّ الاستماع والتحدّث، حيث بلغ تحسّنها (10) درجات. تلاهما التطوّر في مهارة إدارة العواطف، حيث بلغ تقدّمها (9) درجات، وأخيرًا كان تقدّمها في مهارة القدرة على فهم الآخرين حيث تقدّمت (4) درجات. وقد بلغت درجتها الكلّيّة في التطبيق البَعدي للمقياس (96) درجة.

وعند تطبيق مقياس الإدمان على الأجهزة الإلكترونية القبلي مع أهل المسترشدة (أ.هـ)، تبيّن أن التطوّر كان ملحوظًا في البُعدَيْن الاجتماعي والدراسي، حيث بلغ تراجع إدمانها (6) درجات، ثم تلاهما البُعد النفسي حيث تراجع إدمانها (5) درجات، ثم البُعد الأُسَري (4) درجات. وبذلك، تكون قد حقّقت تقدّمًا في كافّة الأبعاد.

- **المسترشدة الأخيرة (أ.و)**: اتّضح أن التطوّر الحاصل في مقياس التواصل كان في جميع المهارات. لقد كانت درجتها الكلّيّة عند التطبيق القَبلي للمقياس (60) درجة. وعند التطبيق البَعدي بلغت (101) درجة، حيث حقّقت تقدّمًا مقداره (13) درجة في مهارة التحدّث، تلاها التقدّم في مهارة إدارة العواطف (12) درجة، ثم مهارة الاستماع (9) درجات. وأخيرًا، مهارة القدرة على فهم الآخرين (7) درجات.

أما نتائج مقياس الإدمان على الأجهزة الإلكترونيّة القَبلي مع أهل المسترشدة، أظهرت أن التطوّر البارز حصل في البُعد الدراسي، حيث بلغ التراجع في إدمانها (7) درجات والبُعد الاجتماعي (6) درجات، تلاهما البُعد النفسي (4) درجات، ثم البُعد الأُسَري (3) درجات، ما يدلّ أنها حقّقت تقدّمًا في كافّة الأبعاد.

خلاصة واستنتاجات

تبين من خلال هذه الدراسة، أن ظهور الهاتف الذكي ساهم في إضعاف مهارة التواصل عند أفراد الفئة المستهدفة وتعزيز سلوكهم الإدماني الذي تبرزه عدّة مؤشرات، لعلّ أبرزها الاستخدام القهري المُتمَثِّل في سلوكيّات متكرّرة، كالتفقُّد المستمرّ للهاتف، والغضب والتوتّر والقلق الشديد عند حرمان الطفل من استخدامه، أو انقطاع شبكة الإنترنت نتيجة عطل معيّن.

وأن أسباب ضعف التواصل عند المسترشدين والإدمان على الهاتف الذكي عند الفئة المستهدفة كانت متنوّعة، منها ما هو شخصي يتعلّق بخصائص شخصيّة الطفل كالخجل، ضعف الثقة بالنفس أو الشعور بالوحدة وتفضيل العزلة، أو المزاج السلبي والقلق الدائم، العجز عن التعبير عن المشاعر بأسلوب مقبول اجتماعيًّا، أو صعوبة في التحكّم في الانفعالات، منها ما هو عائلي، كالخلافات بين الوالدَيْن ومع الإخوة، ضعف في الرقابة الوالدية وتحديد ساعات الاستخدام للهاتف، ومنها ما هو اجتماعي كالتعرّض للانتقادات من بعض أفراد الأسرة الممتدّة بسبب صورة الجسد السلبيّة، والافتقاد لأصدقاء مقرّبين، أوالتعرّض للتنمرّ أو التهميش.

ونستنتج من خلال هذه الدراسة، أن أفراد الفئة المستهدفة قد حقّقوا تقدّمًا في تطوّر مهارة التواصل، حيث أظهرت النتائج التحسُّن الواضح في مهارتَيّ التحدّث لدى جميع الأطفال، كما أظهروا تحسّنًا في مهارة إدارة العواطف عند أول أربع مسترشدين والمسترشدة السادسة، في حين أن المسترشدة الخامسة حقّقت تقدّمًا في مهارتَيّ التحدّث والاستماع. أما بالنسبة لنتيجة مقياس الإدمان على الهاتف الذكي، فقد انخفضت درجات الإدمان والتقدّم الواضح كان بالدرجة الأولى في البُعدَيْن الدراسي والاجتماعي، حيث حقّق **(5)** مسترشدين من أصل **(6)** تقدّمًا في البُعد الدراسي وهم المسترشد الثاني، الثالث، ثم المسترشدة الرابعة الخامسة والسادسة، كما حقّق **(4)** مسترشدين تقدّمًا في البُعد الاجتماعي، ما يُظهِر فعاليّة هذه الخطّة الإرشاديّة.

من كل ما تقدّم، تتّضح أهميّة اختصاص الإرشاد والتوجيه النفس-اجتماعي، والدور الإيجابي الذي يقدّمه في تحسين الأداء الفردي والجماعي، وتطوير مهارات الأفراد وقدراتهم، حيث ساهم بفعّاليّة في تعزيز مهارة التواصل لدى المسترشدين والمسترشدات، وتقليل درجة إدمانهم على الهاتف الذكي. كما ساهم في إظهار الدور الحيوي للمرشد في تحسين جودة حياة الأفراد ودعمهم في التعامل مع التحدّيات والضغوطات النفسيّة والعاطفيّة، ما يُسهم في تعزيز الصحّة النفسيّة للفرد وللمجتمع.

قائمة المصادر والمراجع

أ. المراجع العربية

1. أبو أسعد، أحمد: **دليل المقاييس والاختبارات النفسيّة والتربوية**، مركز ديبونو لتعليم التفكير، عمان، 2015.
2. أبو غزال، معاوية محمود: **نظريات التطور الانساني وتطبيقاتها التربوية**، دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان، 2007.
3. أحمد، سهير كامل: **مهارات التواصل**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2023.
4. حجازي، سحر: **الإرشاد في بيئته الثقافية والاجتماعية**، دار النهضة العربية، بيروت، 2018.
5. الزراد، فيصل محمد خير؛ سعد، مراد علي عيسى: **تعديل السلوك، المبادىء والإجراءات**، دار الفكر، عمَّان، 2014.
6. مكاوي، عماد؛ السيد، ليلى حسين: **الاتّصال ونظريّاته المعاصرة**، الدار المصرية المعاصرة للنشر، القاهرة، 2002.
7. النعيمي، محمد: **طرق ومناهج البحث العلمي**، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، 2015.

ب. الدوريات العربية

1. أبو شنار، فؤاد أحمد محمد: **فاعليّة برنامج إرشادي يستند إلى نظريّة بولبي في تخفيف مستوى قلق الانفصال لدى عيّنة من أبناء المطلقين في قضاء ماعين**، المجلة **العربية للقياس والتقويم**، العدد5 ، يناير 2022.
2. أريعم، سامية: **نقد نظرية ألبرت إليس (نظرية العلاج العقلاني الإنفعالي)**، مجلة **الدراسات والبحوث الاجتماعية**، جامعة الشهيد حمد لخضر، الوادي، العدد 19، نوفمبر 2016.

3. بشار، علي محمد علي البسيوني: **التعلّق الوالدي وعلاقته بإدمان الهاتف الذكي والوحدة النفسية لدى طلاب الجامعة، دراسة سيكومترية-إكلينيكية**، مجلة **كلية التربية** – جامعة بنها، العدد 132، جزء 1، أكتوبر 2022.

4. حميدشة، نبيل: **المقابلة في البحث الاجتماعي**، مجلة **العلوم الانسانية والاجتماعية**، المجلد 4، العدد 8، جوان 2012.

5. حياة حلايمي؛ الحاج تيطاوني: **واقع استخدام الانترنت في العالم العربي: دراسة مسحية على عيّنة من مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي**، مجلة **الرسالة للدراسات الإعلامية**، المجلد 6، العدد 2، جوان 2022.

6. سالمي، مسعودة ؛ سعد الله، الطاهر: **العملية الإرشادية وفق نظريّة ألبرت إليس للإرشاد العقلاني الانفعالي**، مجلّة **الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، المجلد 14، العدد 1، مارس 2022.

7. الطايع، سامي عبد الرؤوف: **استخدام الانترنت في العالم العربي، دراسة ميدانية على عينة من الشباب العربي**، المجلّة **المصرية لبحوث الرأي العام**، العدد 4، مصر، 2000.

8. عواجي، حَمَدْ؛ حكمي، لي: **مستوى إدمان الهواتف الذكية ومخاطرها لدى المراهقين والمراهقات بالمدارس الثانوية في بمنطقة جازان**، مجلة **التربية**، جامعة الأزهر، العدد 192، الجزء 5، أكتوبر 2021.

9. غطاس، ماري سامي سعد: **إدمان الهاتف المحمول لدى طالبات المرحلة الثانوية، دراسة حالة**، مجلة **مركز الإرشاد النفسي والتربوي**، كلية التربية، جامعة أسيوط، العدد 7، أكتوبر 2019.

10. الفول، ريم: **الاستخدام المفرط للهواتف الذكية ودوره في غرس ثقافة ممارسة الطفل للأنشطة الرياضية من وجهة نظر الأولياء، دراسة مسحية على عينة من أطفال مدينة مليانة**، مجلة **الاتّصال والصحافة**، 2021، المجلد 8، العدد 2.

11. قوطال، كنزة ؛ فلاق، أحمد: **العزلة الاجتماعية لدى مستخدمي الهواتف الذكية، دراسة مسحية تحليلية على عيّنة من الشباب المستخدمين للهواتف الذكية بمدينة مليانة**، مجلة **آفاق لعلم الاجتماع**، ديسمبر 2015، المجلد 5، العدد 2، جامعة الجزائر 3.

12. المجادعة، عائشة هليل محمد عبد الله: **إدمان الأطفال على الأجهزة الذكية وعلاقته بأساليب المعاملات الوالدية المدركة من قبل الأمهات، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات**، المجلد 3، العدد 38، ديسمبر 2022.

13. المولى، دينا داود محمد: **إدمان الأطفال على الهواتف الذكية ورقابة الآباء من وجهة نظر أساتذة كلية التربية للبنات**، مجلة **لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية**، جامعة واسط، المجلد 15، العدد 1، كانون الثاني 2023.

14. الوهيب، نعيمة بنت فهد بن ابراهيم ؛ المفدى، عمر بن عبد الرحمن: **أنماط التعلّق وعلاقتها بالتوافق الشخصي والاجتماعي في مرحلة الطفولة من وجهة نظر الأمّهات**، مجلة **كلية التربية**، جامعة أسيوط، المجلد 38، العدد 4، الجزء الثاني، أبريل 2022.

ج. المواقع الإلكترونية العربية

1. باسم، أسماء؛ عبد الرحمن، إيمان: **التأثيرات السلبية لاستخدام الهواتف الذكية على الأطفال من وجهة نظر الأمّهات: جنين والباذان نموذجًا**، جامعة النجاح الوطنية، كليّة الاعلام، قسم الصحافة المكتوبة والإلكترونية، نابلس، 2017 ـ2018، ص 36 37ـ. شوهد في تاريخ 3/ 2/ 2025، على الرابط: https:// .repository.najah.edu/items/50a85dc7-d770-4c87-a8f3-1a9eda6668a8

2. تيسير، محمد: **أنواع البحث الإجرائي وكيفية ارتباطه بأنواع أخرى من البحث**، نُشر في تاريخ 7/ 12/ 2023، شوهد في 1/ 2/ 2025، على الرابط: https://goo. .su/o80LE9

3. حلمي، جمال عبد العاطي محمد: **النمذجة السلوكية وتعديل السلوك**، موقع **أريد** الإلكتروني، نشر في تاريخ 6/ 3/ 2022، شوهد في 3/ 2/ 2025، على الرابط: https://goo.su/cbCz6.

4. حواس، مؤنس: **91٪ من الطفال يشعرون بالقلق عند الإبتعاد عن هواتفهم**، موقع **اليوم السابع** الإلكتروني، نشر في تاريخ 11/ 12/ 2023، شوهد في 1/ 2/ 2025، على الرابط: https://goo.su/qPhBtkc.

5. ديس ماريه، ساية: **إحصائيات إدمان التكنولوجيا 2024**، موقع **مركز إدمان الأنترنت والتكنولوجيا** الإلكتروني، شوهد في 1/ 2/ 2025، على الرابط: https://virtual-addiction.com/technology-addiction-statistics-2024/.

6. لا إسم: **الهواتف الذكية**، موقع **قاموس مدى لمصطلحات النفاذ الرقمي والتكنولوجيا المساعدة** الإلكتروني، شوهد في 2/ 2/ 2025، على الرابط: https://goo.su/drVT.

7. لا اسم: **ما مدة النوم المثالية للأطفال في مرحلة التعليم المدرسي**، موقع **قناة الجزيرة** الإلكتروني، نُشر في تاريخ 21/ 1/ 2023، شوهد في 3/ 2/ 2025، على الرابط: https://goo.su/gs6GU.

8. الهزاع، سارة محمد: **إدمان الإنترنت خلال جائحة كورونا**، موقع **الراية** الإلكتروني، نشر في تاريخ 28/ 6/ 2022، شوهد في تاريخ 1/ 2/ 2025، على الرابط: https://goo.su/xhT8JK.

د. أطروحة دكتوراه

1. بوخنوقة، عبد الوهاب: **المدرسة، التلميذ والمعلم وتكنولوجيّات الإعلام والاتصال، التمثُّل والاستخدامات**، أطروحة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2007.

٥. المراجع الأجنبية

1. Severin, W.; Taknard, W.J.: **Communication theories origins, methods and uses in the mass media**, Longman, White Plains, New York, 2007.

الدوريات الأجنبية

1. Alageel A.A; Alyahya, R.A. & al**.: Smartphone addiction and associated factors among postgraduate students in an Arabic simple, A cross-sectional study**, Journal **BMC Psychiatry**, vol 21, Issue 1.

2. Bian, M.; Leung, L**.: Linking loneliness, shyness, smartphone addiction symptoms, and patterns of smartphone use to social capital**, journal **Social Science Computer Review (SSCR)**, vol33, Issue 1.

3. E., Hassan; & al.: **The smartphone addiction scale for university students: Psychometric characteristics and factor structure**, **International Journal of Innovation**, creativity and change, vol.15, Issue 2.

4. Eichenberg, C.; & al.: **Comparison of students with and without problematic smartphone use in light of attachment style**, Journal **Frontiers in psychiatry**, vol. 10, Issue 681.

5. IHM Jennifer: **Social implications of children's smartphone addiction: The role of support networks and social engagement**, Journal of **Behavioral Addictions**, 2018, vol 7, Issue 2.

6. Kim, E.; Koh, E.: **Avoidant attachment and smartphone addiction in college students: The mediating effects of anxiety and self- esteem**, Journal **Computers in Human Behavior**, Issue 84.

7. Lin, Y.H.; Chiang, C.L; & al.: **Proposed diagnostic criteria for smartphone addiction**, Journal **PloS one**, vol11, Issue 11.

8. S, Dixit; H. Shukla; & al.: **A study to evaluate mobile phone dependence among students of a medical college and associated**

hospital of central India, Indian Journal of **Community Medicine**, vol 35, Issue 2, Avril 2010.

9. Zheng, Xiaolin: **Research on the impact of Smart phone use on children's socialization**, Journal **The Frontiers of Society, Science and Technology**, 2022, vol4, issue 6, Published by Francis Academic Press, UK.

المواقع الإلكترونية الأجنبية

1- Louise, Eccles; Roya, Nikhhah: **Kate charity tells parents: look at your children, not your phone**, retrieved 3/2/2025, on:

https://archive.ph/iVtmI#selection-1683.0-1687.269.

2- Popescu, Alexandrina- Mihaela et al.: **Smartphone addiction risk, technology-related behaviors and attitudes, and psychological well-being during the covid -19 pandemic**, 16 August 2022, retrieved 1/2/2025, on:
https://www.frontiersin.org/journals/psychology/articles/10.3389/fpsyg.2022.997253/full

عقيدة المعاد
وإشكالية التناسخ عند فلاسفة المسلمين

(شيخ الإشراق وصدر المتألّهين نموذجان)

الشيخ الدكتور علي طالب[1]

الملخّص

يتمحور موضوع هذا البحث في القسم الأول منه حول عقيدة المعاد بما تحويه من خلود للجسد والنفس بعد الموت، وما يتفرَّع عنها من حساب للأبدان أو للنفوس أو لهما معًا، ومواقف الفلاسفة والعرفاء والمتكلّمين حول هذه القضية، وإجراء مقارنة علمية بين شيخ الإشراق[2] وصدر المتألهين[3]، ثم محاكمة مواقفهما بلحاظ النص القرآني.

(1) أستاذ محاضر في الجامعة الاسلامية في لبنان

(2) شهاب الدين السهروردي (1154ـ1191)، اشتهر بـ «شيخ الإشراق»، ولد في سهرورد ـ شمال إيران، إسماعيلي المذهب، درس في أصفهان، ثم انتقل إلى الأناضول وحلب حيث أسّس مدرسة إشراقية وناظر علماءها حتى وشوا عليه عند السلطان الظاهر بن صلاح الدين الأيوبي واتهموه بالزندقة والإلحاد، ما أدى إلى إعدامه. دُفن في قلعة حلب الشهيرة ولا يزال قبره معروفًا وله مزار، من مؤلفاته: **حكمة الاشراق، المشارع والمطارحات، اللمحات، الألواح العمادية**، إضافة إلى حوالي أربعين مؤلَّفًا آخر في المنطق والفلسفة والفقه ومجموعة من الرسائل الصوفية.

(3) محمد بن إبراهيم الشيرازي (1640/ 1573)، اشتهر بـ «صدر المتألّهين» وبـ «ملّا صدرا»، ولد في شيراز ونشأ فيها، وتوفي في البصرة أثناء سفره إلى الحج ودفن فيها. يصفه المؤرِّخ الإسلامي حسن الأمين: «أغنى وأخصب عبقرية فلسفية إسلامية في القرون المتأخرة.. لقد تمكَّن هذا الفيلسوف بواسطة عبقريته الخاصة وأصالة شخصيَّته من إحداث تحوّل عميق في الفكر الفلسفي الإسلامي. من مؤلفاته: **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة**، وهو أهم كتبه على الإطلاق، إذ يحتوي على منظومته الفلسفية بشكل كامل. إضافة إلى ما يقرب من ثلاثين مؤلَّفًا آخر، من بينها: **شرح الهداية الأثيرية، الشواهد الربوبية، المبدأ والمعاد، كسر أصنام الجاهلية**، وسواها.

أما في القسم الثاني منه فيدور البحث حول الأصول الدينيّة والفلسفيّة لفكرة التناسخ التي لا تنفكّ عن قضية المعاد، وهي تعني انتقال النفس بعد الموت إلى جسدٍ آخر لتعيش فيه حياة أخرى، وربما يكون ذلك بمثابة الثواب أو العقاب لهذه النفس من منطلق تحقيق مبدأ العدالة الإلهية في حياة الإنسان، إضافة إلى التعمّق في هذه العقيدة بلحاظ آراء كل من السهروردي وملا صدرا الشيرازي.

الكلمات المفتاحية: المعاد، التناسخ، الموت، الروح، الجسد.

Abstract

The first section of this research focuses on the belief in resurrection, including the immortality of the body and soul after death, and the resulting accountability of bodies, souls, or both. It also examines the positions of philosophers, mystics and theologians on this issue, conducting a scientific comparison between Sheikh Al-Ishraq and Sadr Al-Muta'allihin, then evaluating their positions in light of the Qur'anic text.

As for the second section, the research revolves around the religious and philosophical origins of the idea of reincarnation, which is inseparable from the issue of resurrection. Reincarnation means the transfer of the soul after death to another body to live another life in it, and perhaps this is a reward or punishment for this soul based on achieving the principle of divine justice in human life. In addition, this research delves into this belief through the views of both Suhrawardi and Mulla Sadra Shirazi.

Keywords: Resurrection, Reincarnation, Death, Soul, Body.

مقدّمة

إذا كانت الفلسفة صدىً لتساؤلات العقل البشري حول الوجود ومبدئه ومصيره وما يدور في هذا الفلك، فإنّ توسُّعها إلى دراسة المعاد والتناسخ وأحوال الآخرة أمرٌ جوهريٌّ لا يمكن الاستغناء عنه، اللّهم إلّا من وجهة نظر الماديِّين الذين أنكروا أيّ استمرار وجودي للنفس بعد مفارقتها للبدن. غير أنّهم أنفسهم وقفوا برهبة أمام مشكلة الموت، وسلَّطوا الضوء على كيفية استمتاع الإنسان في هذه الحياة، في حين أنها مبدؤه ونهايته في الوقت

ذاته؛ ولذا نجد هذه المسألة قد شكّلت محورًا مهمًّا على مستوى الأبحاث الفلسفية منذ فجر التاريخ، وقد بحث الحكماء عن أجوبة شافية للكثير من التساؤلات على هذا الصعيد، فحصلوا على بعضها، ولا يزال البعض الآخر ضمن إطار البحث والتمحيص.

أما على مستوى فلاسفة المسلمين، فقد تعدَّدت آراؤهم واختلفت مواقفهم إزاء هذه المشكلة، علمًا أنّ بحث هذا الموضوع في الفكر الفلسفي، ولا سيَّما الإسلامي منه، ليس بالأمر اليسير، حتى قال ابن رشد في ذلك: «ويُشبه أن يكون المُخطئ في هذه المسألة من العلماء معذورًا، والمصيب مشكورًا أو مأجورًا»[1].

والمعاد يعني العَود إلى الوجود بعد الفناء، ويُعبَّر عنه علميًّا برجوع أجزاء البدن إلى الاجتماع بعد تفرّقها، والعودة إلى الحياة بعد الموت، أو رجوع الأرواح إلى الأبدان بعد التحلُّل والمفارقة.

ومن هنا، لاقت مسألة المعاد اهتمام الناس أيضًا، بما تعنيهم في صميم وجدانهم، إذ تتعلَّق في أمر وجودهم في هذه الحياة وبعد الممات، فهم يسألون دائمًا عمّا يصنعوه بعد مغادرتهم هذا العالم والانتقال إلى عالم آخر.

من هذا المنطلق، يمكن طرح الإشكالية العلمية لقضية المعاد على الشكل التالي:

كيف عرض الفلاسفة والمتكلّمون والمتصوّفة قضيّة المعاد وكيف عالجوها؟

وينبثق من الإشكالية المركزية تساؤلات، أبرزها:

- ما هي مواقف شيخ الإشراق وصدر المتألّهين من هذا الأصل الاعتقادي؟
- وما هو الاتّجاه الأقرب إلى الصواب في ظل الأدلّة القرآنيّة التي تحكي قضية الموت وبعث الأجساد في الآخرة؟

(1) محمد بن أحمد ابن رشد: **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، تحقيق محمد عمارة، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1969 م، ص 51.

وفيما يتعلّق بموضوع التناسخ، الذي يرتبط بعقيدة المعاد ارتباطًا وثيقًا، بما يُعدّ أنّ التناسخ ـ على القول به ـ هو إحدى كيفيّات المعاد، فإنّه يصحّ طرح إشكالية أخرى، هي:

هل التناسخ بمعنى انتقال النفس الإنسانية بعد مفارقتها للجسد إلى جسدٍ إنساني آخر تتلبّس فيه من جديد؟ أم أنّ النفس تنتقل إلى جسدٍ حيواني أو نباتي أو جمادي أو غير ذلك من الأفكار؟ أم أنّ التناسخ باطل من الأساس ولا مجال للقول به وفقًا للأدلّة العقليّة والنقليّة؟

وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، حيث تناولت النظريّات المتعلّقة بالموضوع المطروح، التي تعود إلى الحكيمَيْن ملّا صدرا والسهروردي، ثم عمدت إلى تحليلها ومقاربتها مع النظريّات الأخرى للتوصّل إلى استنتاج النظرية الإسلاميّة السليمة، مستخدمة طريقة المقارنة في تحقيق هذا الهدف.

أوّلًا. عقيدة المعاد

في مقام الإجابة عن أسئلة المعاد الآنفة، يمكن القول بشكل مختصر، إنّه ثمَّة من ذهب إلى أنّ عودة الإنسان في النشأة الآخرة إنّما تكون بالروح والجسم معًا، لكن الجسم الأخروي قد يكون مغايرًا للجسم الدنيوي، وثمَّة بعض آخر أكّد أنّ العَود لهما معًا، وأنّ الجسم الأخروي عند البعث ليس إلاّ هذا البدن بالذات. وقد دعَّم رأيه بآياتٍ من القرآن الكريم مع بعض الأدلّة العقليّة. واتَّخذ آخرون من هذه المسألة موقفًا عكسيًّا، فذهبوا إلى أنّ الخلود إنّما هو للروح فقط، ولا محلّ للخلود الجسماني المادّي أصلًا. إلى غير ذلك من الآراء والأقوال التي ستبرز لاحقًا.

أ. مواقف القدماء والإلهيّين

بناءً على ما تقدَّم، يمكن عرض المذاهب المحتملة في معالجة قضية المعاد ضمن اتجاهاتٍ خمسة:

ـ **الاتّجاه الأول**: يتمثَّل في أقوال الفلاسفة الطبيعيّين القدماء الذين ذهبوا إلى بطلان المعاد الجسماني والروحاني وعدم ثبوت شيء منهما، فإنهم ظنّوا أنّ

القوّة الروحيّة في الإنسان تابعة لمزاجه[1]، فإذا بطل مزاجه بالموت فإنها تبطل، وإذا بطلت انعدم، ثمّ إذا انعدم، فلا يُعقل إعادة المعدوم، وعلى هذا الأساس قالوا إنّ النفس تموت وتفنى ولا تعود[2].

- **الاتّجاه الثاني**: ويُنقل عن جالينوس[3]، حيث ذكر أنّه لم يظهر لديه أنّ النفس شيء غير المزاج، فإذا كانت هي ذاته تصير النفس فانية معدومة عند الموت لفناء مزاجها، والمعدوم لا يمكن إعادته، وإذا كانت جوهرًا باقيًا بعد فساد المزاج، كان المعاد ممكنًا. ولمّا لم يتبيَّن عنده أنّ النفس هي المزاج بعينه أم شيء غيره، فقد توقّف ولم يُدْلِ برأي، فعبَّر عن الشكّ وعدم القطع والتردُّد[4].
- **الاتّجاه الثالث**: يتبنّاه معظم المتكلِّمين المسلمين، فيذهبون إلى أنّ المقصود بالمعاد هو الجسماني بصورة خاصّة كما يعبِّر الفخر الرازي[5]، ومفاده أنّ الإنسان هو ذلك الجسد الحيّ، أمّا الموت فهو عدم الحياة فيه؛ ويُخلق في هذا الجسد في النشأة الثانية بعد الموت حياة بعد تفتُّته، ويصير ذلك الإنسان بعينه حيًّا.
- **الاتّجاه الرابع**: يتبنّاه معظم الفلاسفة المسلمين، لا سيّما العقليّين منهم[6]، حيث ذهبوا إلى أنّ المقصود بالمعاد هو الروحاني فقط[7]، إذ رأوا أنّ الإنسان في

(1) أي: لجسده المادي.

(2) أبو حامد محمد الغزالي: **المنقذ من الضلال**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 4، 2000، ص 98. وسيرد لاحقًا بإسم الغزالي.

(3) جالينوس (129/ 216): أعظم أطباء الإغريق في العصور القديمة، عالج العديد من الأباطرة الرومان، أثّر بشكل كبير في العديد من الاختصاصات الطبية كعلم التشريح، وعلم الجهاز الهضمي. كما تنسب له الكثير من الاسهامات في الفلسفة والمنطق، وكان مهتماً بدمج الفكر الفلسفي مع الممارسة الطبية. بسبب عدم ترجمة نتاجات جالينوس العلمية، وبسبب انهيار الامبراطورية الرومانية تراجعت دراسة جالينوس في أوروبا. من مصنفاته: الأسطقساس، التشريح الكبير، آراء أبقراط وأفلاطون، كتاب منافع الأعضاء، وسواها.

(4) فخر الدين الرازي: **الأربعون في أصول الدِّين**، تحقيق أحمد السقّا، مكتبة الكلّيات الأزهرية، القاهرة، ط 1، 1406هـ، ج 2، ص 55. وسيرد لاحقًا بإسم الرازي.

(5) المرجع نفسه، المكان نفسه.

(6) كالفارابي وإبن سينا وإبن رشد وغيرهم.

(7) الرازي: **الأربعون في أصول الدِّين**، مرجع سابق، ص 55.

جوهره هو هذه النفس المجرَّدة، وأنّ البدن إنّما هو آلة لهذه النفس لا أكثر، تتصرَّف فيه لاستكمال جوهرها. فالنفس هي الأساس في التكوين الإنساني، وهي ما لا يقبل الفناء بعد وجودها لكونها بسيطة، وتدلّ بساطتها على أنها جوهر روحي لا يقبل العدم[1].

- **الاتّجاه الخامس**: يتبنّاه معظم العرفاء والمتصوِّفة، حيث ذهبوا إلى أنّ المعاد هو للروح والجسم معًا، فهم يجعلون الحياة بوجود النفس في البدن، والموت بمفارقة النفس للبدن، ويشيرون إلى أنّ النفس ذاتها تُرَدُّ في النشأة الثانية إلى البدن ذاته الذي كانت فيه، وبهذا التصوير يكون للمُثاب والمعاقب ثواب وعقوبة بحسب البدن والنفس معًا[2].

يظهر من ذلك أنّ الاتّجاهين الأوّلَيْن ينكران الخلود أو الحياة الأخرويّة، لأنهما ينكران فكرة إعادة المعدوم، ولا يخفى في هذا السياق موقف التردُّد والحيرة الذي أبداه صاحب الاتّجاه الثاني منهما. بينما الاتّجاهات الثلاثة الأخيرة تؤمن بالخلود، سواءً أكان للبدن أم للنفس أم لهما معًا، وهي تمثِّل آراء المتكلِّمين والفلاسفة والمتصوِّفين على الترتيب.

يبقى أن نؤكّد أنّ الاتّجاه الأخير هو الأقرب إلى الصواب، نظرًا للأدلّة النقليّة من الكتاب والسُنّة على ذلك، وعدم ممانعة دليل العقل، وهذا ما سنشير إليه لاحقًا.

ب. موقف شيخ الإشراق

يُستفاد من كلمات الشيخ شهاب الدين السهروردي المعروف بـ «شيخ الإشراق»، أنّه يذهب إلى الاتّجاه الرابع، وذلك لأنّه يعدُّ النفس الإنسانية نورًا سجينًا في البدن البرزخي المظلم، وأنّ الخلاص ـ وهو الأمر الذي تنشده النفس في جميع مراحلها ـ

(1) الحسين بن عبد الله بن سينا: **النجاة**، لا د. لا ط. لا ت. ص 225.

(2) الحسين بن عبد الله بن سينا: **رسالة أضحوية في أمر المعاد**، لا د. لا ط. لا ت. ص 39ـ40.

سوف يتمّ عن طريق مفارقتها لهذا البدن، فلا يُعقل أن ترجع من عالمها النوراني الملكوتي إليه بعد مفارقتها له، وإلّا فإنّ الخلاص يكون عندئذٍ آنيًّا مرحليًّا، مع أنّه دائم سرمدي حاصل عن طريق الموت[1].

وربّما كان بإمكاننا تقريب الفكرة من خلال ما نستشعره في «**قصة الغربة الغربية**»، حيث ذكر هناك أنّ للنفس خَلاصَيْن: أحدهما آني في هذه الحياة، وذلك عن طريق الرياضات والمجاهدات الروحية. وثانيهما دائم يتمّ بعد مفارقة النفس للجسد، فهو يقول: «فقال «أي: الشيخ المعبَّر به رمزيًّا عن العقل الفعّال» أمّا العود «إلى عالم الأجسام» فضروري الآن «بعد الرحلة باتجاه العالم النوراني نتيجة رياضات ومجاهدات»، ولكني أبشِّرك بشيئين: أحدهما أنّك إذا رجعت إلى الحبس «وهو البدن» يمكنك المجيء إلينا والصعود إلى جنّتنا هنيئًا متى ما شئت؛ والثاني أنك تتخلَّص في الأخير إلى جنابنا تاركًا البلاد الغربية بأسرها مطلقًا»[2].

ولا يخفى ما في هذا الكلام من إشارة واضحة إلى عدم عودة النفس ـ بعد المفارقة الأخيرة ـ إلى موطنها المادّي السابق، بل ترجع إلى مصدرها وعلّتها وأصلها، وهكذا يظهر أنّ النفس خالدة، بينما البدن فانٍ، ولا بُدّ لهذه النفس من أن تعود إلى عالمها النوراني الذي فاضت عنه، وهو معنى المعاد الذي يذهب إليه السهروردي، والذي يكون روحانيًّا وليس جسديًّا.

ولكن رغم ذلك، فقد التفت السهروردي إلى أنّ الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة

(1) أي أن المعاد بنظر السهروردي هو عود النفس إلى عالمها العلوي المثالي بعد مفارقتها للبدن، وعود النفس يعني أنّ المعاد نفسي روحاني، وليس جسمانيًّا.

(2) شهاب الدين السهروردي: **قصة الغربة الغربية**، ضمن مجموعة مصنّفات شيخ الإشراق، تحقيق هنري كوربان، نشر مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي، طهران، 1993، ص 294ـ295.

مستفيضة في استقراب المعاد الجسماني دون الروحاني[1]، وهو معروف باعتماده على النصّ الديني، لذلك كانت عملية التوفيق بين الدِّين والتصوُّف والفلسفة، وكان الأقرب له استيحاء ما نطقت به هذه النصوص، إضافة إلى عدم معارضة ما تقدَّم من فكرة الخلاص الدائم، وفي هذا الصدد رأى أنّه ليس ثمَّة مانع من أن تتحقَّق أجسام ذات صور محاكية للواقع الحسِّي من غير أن تكون كذلك، وهذا أمر يجعل ما نطق به الدِّين منسجمًا مع ما يتطلَّع إليه المتصوِّفون وما قرَّره بعض الفلاسفة من انحصار المعاد بالروح دون الجسد.

وما يدعِّم هذا الكلام أنّ شيخ الإشراق يجعل بعث الأجساد متحقّقًا في عالم الأشباح المجرَّدة[2]، وعلى هذا الأساس يمكن القول إنّه يذهب إلى المعاد الجسماني بمعناه الشبحي الخاص به، وليس بالمعنى الذي يريده المتكلِّمون، ولكن هذا المعنى الجديد للمعاد الجسماني لا يخرج عن دائرة المعاد الروحاني، لأنّ الجسم في هذا العالم الجديد ليس من سنخ الأجسام الماديّة التي توجد في عالمنا الذي نعيش فيه، بل هو جسمٌ مثاليّ لا يتَّصل بالمادة وملابساتها.

وهذا الكلام يدفعنا إما إلى القول بأنّ السهروردي يقول بالمعاد الروحاني وينكر الجسماني بالمعنى الدارج بين الفلاسفة والمتكلِّمين، ولكن يُبقي الثاني رهن الأول لكون الجسم في ذلك العالم من سنخ طبيعة الروح ولا سبيل له إلى المادّة بمعناها المعروف. وإما إلى القول بالمعاد الجسماني ولكن بمعنى شبحي مثالي خاص مختلف عن طبيعة الأجسام المادية التي ندور في فلكها.

---

(1) من الآيات القرآنية الواردة في بيان المعاد الجسماني قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾؛ وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾؛ وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾. سورة يس، الآيات 52؛ 65؛ 78ـ79.

(2) وهو عالم مثالي خاصّ مختلف عن طبيعة الأجسام الماديّة الموجودة في عالمنا المحسوس. شهاب الدين السهروردي: **حكمة الإشراق**، ضمن مجموعة مصنّفات شيخ الإشراق، تحقيق هنري كوربان، نشر مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي، طهران، 1993، ص 234.

ج. موقف صدر المتألّهين

يتناغم موقف صدر المتألّهين مع موقف شيخ الإشراق إلى حدٍّ ما، حيث نجد أنّ هناك اتّفاقًا بينهما على مستوى القول بالجسماني، خلافًا للفلاسفة العقليّين الذين أنكروه وقالوا بالروحاني فقط، واختلافًا على مستوى الحكاية عن الجسد الذي تحلُّ فيه النفس بعد تجرُّدها وقيامتها إلى المعاد، إذ رأى السهروردي أنّه بدنٌ مثاليّ غير بدن الدنيا ينسجم مع طبيعة ذلك العالم المجرَّد، بينما رأى صدر المتألّهين أنّه البدن نفسه الذي كانت النفس فيه أثناء هذه الحياة.

يقول ملّا صدرا: «إنّ هذا البدن بعينه سيُحشر يوم القيامة بصورة الأجساد.. المعاد مجموعة النفس والبدن بعينهما وشخصهما، وإنّ المبعوث في القيامة هذا البدن بعينه لا بدن آخر مباين له عنصريًّا كما ذهب إليه جمع من الإسلاميّين، أو مثاليًّا كما ذهب إليه الإشراقيّون، فهذا هو الاعتقاد الصحيح المطابق للشريعة والملّة، الموافق للبرهان والحكمة»[1].

ولكنّ اللافت في كلام صدر الدِّين حديثه عن ماهيّة الجنّة والنار بصورة توفيقيّة لافتة بين الحكمة والشريعة، أو بين العقل والنصّ الديني القرآني والروائي، فيقترب بذلك من شيخ الإشراق الذي لم يجعل للمادّة الجسمانيّة المحضة سبيلًا بعد تحرُّر النفس وخلاصها من البدن.

ويقول ملّا صدرا: «أما الجنّة فهي كما دلّ عليه الكتاب والسنّة مطابقًا للبرهان والكشف دار البقاء ودار السلام ... إنّها دار أهلها جيران الله وأولياؤه وأحباؤه وأهل كرامته، وإنّهم على مراتب متفاضلة، منهم المتنعِّمون بتسبيح الله وتقديسه وتكبيره في جملة ملائكته المقرَّبين، ومنهم المنعَّمون باللذّات المحسوسة كأنواع المآكل والمشارب والفواكه

(1) صدر الدِّين الشيرازي: **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة**، منشورات مصطفوي، قم-إيران، ط 2، 1387 هـ، ج 9، ص 197-198.

والآرائك... وكلٌّ منهم يتلذَّذ بما يشتهي ويريد على حسب ما تعلَّقت به همَّته، وبالجملة ... وجود الأشياء هناك وجود صوري من غير مادة ولا حركة ولا انفعال وتجدُّد وانتقال»[1].

ولا يخفى ما في ذيل هذا الكلام من تحديد للماهيّات التي يُستَمتَع بها على مستوى الآخرة بصورةٍ مختلفة عن ماهيَّاتها الحِسّية الدنيويّة، فهو يرى أنّ هذه الصور التي يستمتع بها المرء في الجنّة إنما هي صوريّة غير متعلِّقة بالمادة، على الرغم من أنّه يذهب إلى أنّ البدن عينه وشخصه هو الذي توجد فيه النفس في معادها.

ويوضِّح هذه المسألة حديثه عن النشأة الآخـرة، فهو يرى أنّها متوسِّطة بين المجرَّدات العقليّة والجسميّات الماديّة، وكل ما فيها صورٌ محسوسة مدركة بقوة نفسانيّة هي خيالٌ في هذا العالم وحسٌّ في ذلك العالم، فإذا مات الإنسان وتجرَّد عن بدنه الطبيعي قامت قيامته الصغرى، وحشر أوّلًا إلى عالم البرزخ، وتاليًا إلى الجنّة والنار عند القيامة الكبرى[2].

د. محاكمة الموقفين بلحاظ النص القرآني

لعلّ موقف صدر الدِّين أقرب من موقف السهروردي إلى الحقيقة بلحاظ النَّص القرآني، حيث توجد آيات كثيرة يظهر منها أنّ المعاد إنّما هو بالروح نفسها والجسد نفسه، كالآيات التي تحدَّثت عن إعادة العظام الرميم إلى الحياة مرّة أخرى، كقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[3]، والآيات التي تحدَّثت عن بعث من في القبور، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾[4]، والآيات التي تحدَّثت عن خلق الإنسان من التراب وأنّه سوف يعود

(1) الشيرازي: الحكمة المتعالية، مصدر سابق، ص 319 ـ 320.
(2) المصدر نفسه، ج 9، ص 380ـ381.
(3) سورة يس، الآيتان 78ـ79.
(4) سورة يس، الآية 52.

إليه ثم يُبعث منه مرّة أخرى، كقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[1].

هذا بالإضافة إلى الآيات التي شبَّهت إحياء الموتى بإحياء الأرض الميتة، كقوله تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾[2]، والآيات التي تحدَّثت عن العذاب المادّي في جهنم، كقوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ۝٤١ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝٤٢ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ۝٤٣ لاَ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيمٍ﴾[3]، والآيات التي تحدَّثت عن تكلُّم أعضاء الجسم، كقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[4].

وذلك فضلًا عن الآيات التي تقدِّم نماذج عينيّة من تحقُّق المعاد على مرّ التاريخ، كقصة إبراهيم عليه السلام مع الطيور الأربعة[5]، وقصّة عزير عليه السلام[6]، وقصّة أصحاب الكهف[7]، وقصّة قتيل بني إسرائيل[8]. وقد علَّق على هذه الآيات أحد المفسِّرين

(1) سورة طه، الآية 55.

(2) سورة ق، الآية 11.

(3) سورة الواقعة الآيات 41ـ44.

(4) سورة يس الآية 65.

(5) يشير إلى هذه القصّة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. سورة البقرة، الآية 260.

(6) وهي المقصودة بقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. سورة البقرة، الآية 259.

(7) أشار القرآن الكريم إليها في سورة الكهف، إذ يقول: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً ۝٩ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ۝١٠ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً ۝١٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾. سورة الكهف، الآيات 9ـ13.

(8) أشار الله تبارك وتعالى إليه في القرآن الكريم بقوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٧٢ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. سورة البقرة، الآية 73.

بالقول: «ونظرًا لصراحة وكثرة تلك الآيات، يجب الاعتراف بأنّ المعاد الجسماني هو من الضروريّات من وجهة نظر القرآن المجيد»[1].

ولا يعني ذلك أنّ السهروردي لم يكن ملتفتًا إلى هذه الآيات، فقد تقدَّم معنا أنّه اعتمد عليها، ولكنّه أوّلها بما يتناسب مع منظومته. ولكن مسألة القول بأنّ النفس تُبعث في بدنٍ آخر من غير سنخ البدن الذي كانت عليه في العالم المادّي، وإن كانت موافقة لما ذهب إليه بعض المفكِّرين كالغزالي والمفيد[2] والمرتضى[3] ونصير الدين الطوسي[4]، ولو في إطاره الشكلي العام، لكنّه يفارق من هذه الزاوية صدر الدِّين الشيرازي الذي ركَّز دومًا على كون المعاد متعلِّقًا ببعث هذا البدن الشخصي بعينه، لا بمثيله.

وضمن هذا السياق، فإنّ فكرة بعث النفوس في أبدانٍ أخرى غير البدن الذي تلبّسته في عالم الدنيا، تحيلنا إلى بحث انتقال النفس من جسدٍ إلى جسدٍ آخر بعد الموت، وهو ما يُعرَف بالتناسخ، وفيما يلي التفصيل.

---

(1) ناصر مكارم الشيرازي: **المعاد في القرآن الكريم**، دار المحجة البيضاء، بيروت، 2008، ص 228.

(2) هو محمد بن محمد بن النعمان، المعروف بـ«الشيخ المفيد» (336ـ413 هـ/ 948ـ1022م): أحد كبار المتكلِّمين والفلاسفة والفقهاء الشيعة، ولد بالقرب من بغداد، وتتلمذ على الشريفَيْن الرضا والمرتضى، وكان مجدِّدًا. من مؤلفاته: **أوائل المقالات في المذاهب المختارات، الإرشاد، شرح عقائد الصدوق**. للمزيد راجع: عبد المنعم الحفني: **موسوعة الفلسفة والفلاسفة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999، ج 2، ص 1333.

(3) هو علي بن الحسين بن موسى، المعروف بـ«الشريف المرتضى»، ولد في بغداد سنة 355 هـ/ 966م، ومات فيها سنة 436 هـ/ 1045م، ودفن في كربلاء. كان فيلسوفًا متكلّمًا جامعًا للعلوم كلّها، فلقى العلم على ابن ثباتة، ثم على الشيخ المفيد. من مؤلفاته: **إنقاذ البشر من القضاء والقدر، الشافي في الإمامة، تنزيه الأنبياء**. للمزيد راجع، المرجع نفسه، ص 1304.

(4) نصير الدين الطوسي (1200ـ1273م) : ولد في طوس، وتربّى في حجر والده الذي كان من الفقهاء والمحدِّثين، ثم رحل إلى نيسابور ومكث فيها مدة يختلف إلى مجالس فقهائها وحكمائها، حتى صار بارعًا ضليعًا في التاريخ والأدب والفقه والتفسير والعقائد والفلسفة والأخلاق والهندسة والجبر والفلك وغيرها، كان ضحية من ضحايا الغزو المغولي حينما اجتاحت جحافل «جنكيز خان» البلاد الإسلامية، ثم استقام وضعه مع «هولاكو» الذي قرَّبه إليه وسمح له ببناء مرصد فلكي في مراغة (آذربيجان). من مؤلفاته: **تجريد الاعتقاد، شرح الإشارات، التذكرة**. للمزيد راجع: لويس معلوف: **المنجد في الأعلام**، دار المشرق، بيروت، ط 12، 1982، ص439.

ثانيًا. إشكالية التناسخ

قادت المصادر الدينية بعض المفكِّرين المسلمين للحديث عن تناسخ الأرواح بعد الموت، الذي يعني انتقال النفس من جسدٍ إلى آخر كنوعٍ من الثواب أو العقاب نتيجة للسلوك في هذه الحياة. وقد يُعبَّر عنه أحيانًا بالنقل أو التقمُّص.

وهذا يعني أنّ الإنسان لمّا كان مؤلَّفًا من جسدٍ ونفس، فإنّ جسده يفنى ويتحوَّل إلى تراب، بينما تذهب النفس إلى جسدٍ آخر تنتقل إليه لتعيش فيه حياةً أخرى، علمًا أنّ هذا الجسد يُحتمل أن يكون بشرًا أو حيوانًا أو نباتًا أو جمادًا.

وهكذا جاءت هذه الفكرة من أجل أن تبيِّن لنا مصير النفس بعد خروجها من البدن تارةً، وتشرح لنا مبدأ العدل الإلهي في حياة البشر وقوالبهم الشكلية تارةً أخرى.

أ. الأصول الدينية والفلسفية

تُعدُّ فكرة التناسخ من المقولات الدينيّة والعقيديّة القديمة، لها ارتباط وثيق بمجمل الديانات الشرقية، فضلًا عن تجلِّياتها عند اليونانيّين الفيثاغوريّين والمصريّين القدماء، وقد استعان بها بعض المسلمين في إطار تبرير قضيّة العدل الإلهي على مستوى خلق الإنسان، واستدلّوا على ذلك بآياتٍ وروايات توهم هذا المعنى[1]، لا سيَّما وأنّ القرآن حمّال ذو أوجه. بينما أنكرها أكثر فلاسفة الإسلام ومفكِّريه، مستندين إلى أدلّة عقلية تارةً ونقلية أخرى.

1. التناسخ عند الهندوس

هو شديد الارتباط بقانون الثواب والعقاب لديهم، ويطلقون عليه مصطلح «تجوال الروح» أو «تكرار المولد»، وهو يعني رجوع الروح بعد خروجها من الجسم إلى العالم

(1) من جملة الآيات التي يُستدلّ بها على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾. سورة غافر، الآية 11؛ وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا﴾. سورة النساء: الآية 56؛ وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ سورة الحج، الآية 22.

الأرضي في جسمٍ آخر[1]. كما أنّه ليس بالضرورة أن تعود الروح بعد موت صاحبها إلى جسد إنساني مثلها، بل يجوز أن تحلَّ في حيوان أو نبات[2].

وتطلق الهندوسيّة مصطلح «النسخ» على عودة الروح إلى جسدٍ إنساني، ومصطلح «المسخ» على عودتها إلى جسدٍ حيواني، ومصطلح «الفسخ» على عودتها إلى نبات، ومصطلح «الرسخ» على عودتها إلى جماد[3].

ويعود سبب التناسخ أو تكرار المولد عندهم إلى أمرين:

- **أوّلهما**: إنّ الروح خرجت من الجسم، ولا تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادّي لم تتحقق بعد، فلا بد من بقائها في جسم آخر من أجل تحقيقها.
- **ثانيهما**: إنّ الروح خرجت من الجسم، وعليها ديون كثيرة في علاقاتها بالآخرين، لا بُدَّ لها أن تؤدّيها، فلا مناص من أن تستوفي ديونها في حياةٍ أخرى.

تجدر الإشارة إلى أنّ الهندوس يعتقدون بأنّ جسد الإنسان المادّي يولد من جسَدَي الوالدَيْن، ثم يحرِّكه جسد لطيف يتركَّب من القوى الأساسية والقوى الآلية المحرِّكة والعناصر اللطيفة والعقل؛ فإذا حدث الموت، مات الجسد المادّي وتوقّف، وأما الجسد اللطيف فلا يموت، بل يخرج ويعمل مدّة من الزمن في آفاق الكون اللطيفة التي تشبه حالة أحلامنا، ثم يعود مسوقًا بالأعمال الماضية متقمِّصًا جسدًا جديدًا، وتبدأ في إثر ذلك دورة ثانية من الحياة لهذه الروح، تكون في إنسان أو حيوان أو نبات، فيسعد أو يشقى نتيجة لما قدَّم من عمل في حياته السابقة[4].

هذا إن لم تتحرَّر النفس من تكرار المولد، أما إذا تحرَّرت فتندمج عندئذٍ في الروح

(1) أحمد شلبي: **أديان الهند الكبرى**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 2، 1966م، ص 63.
(2) أحمد العطار: **الديانات والعقائد**، مكة المكرمة، ط 1، 1981م، ج 1، ص 102.
(3) حسين توفيقي: **دروس في تاريخ الأديان**، تعريب أنوار صافي، المركز العالمي للدراسات الاسلامية، قم-إيران، ط1، 1423هـ، ص 47-48.
(4) أحمد شلبي: **أديان الهند الكبرى**، مرجع سابق، ص 63.

الأسمى أو «براهما»[1]، وذلك بعد اعتماد طريق الزهد والنسك الذي يُعتق صاحبه من الرغبات والشهوات والماديّات الرخيصة والمحدودة[2].

2. التناسخ عند البوذيّة

يرى «بوذا» أنّ تكرار الولادات إنّما هو مظهر من مظاهر الألم والشقاء الذي يعانيه الكائن الحيّ، وينسجم هذا الفهم للتناسخ مع فكرته عن الإنسان والوجود الكائن فيه، والحقائق النبيلة التي شكّلت العمود الفقري لدعوته[3].

فقد قرَّر «بوذا» أنّ «الأتمان»، وهو الكائن المتيافيزيقي الموجود في الإنسان، لا يختلف في حقيقته عن سائر أعضاء البدن، فهو بالأحرى الكلّ المركَّب من الأعضاء الماديّة والمعنويّة، أو هو الشخصيّة المركَّبة من النفس والجسد، المؤتلفة في كلٍّ واحد منّا، هذه الشخصية تخضع لناموس الطبيعة المسيطر على كل الموجودات، وهو أنّ الأعمال التي يقوم بها الشخص هي التي تحدِّد ما سوف يصير إليه الإنسان بعد الموت في ولادته الجديدة، وهكذا إلى أن يرتقي الإنسان بأعماله الفاضلة، وبإلغائه كل العلاقات الناتجة عن سيطرة الأنانية، ليبلغ الحقيقة، ويتمّ له الخلاص النهائي، فيدخل في حالة «النيرفانا»[4]، وتتوقَّف عن الولادة من جديد[5].

فالبوذيّون يؤمنون إذًا؛ بدورة النفس على مستوى التناسخ في الأبدان سعيًا وراء التطهُّر، حتى تصل إلى حالة الاستنارة والصفاء، وتصبح أهلًا للتسامي والرحيل من

---

(1) «براهما» هو إله الخلق، وهو أحد آلهة الهندوس الثلاثة: براهما (الخالق) وفشنو (الحافظ) وشيفا (المدمر). جون كولر: **الفكر الشرقي القديم**، ترجمة كامل يوسف حسين، ضمن سلسلة عالم المعرفة، الرقم (199)، الكويت، 1995، ص 35.

(2) للمزيد راجع:

-KENNETH MORGAN: **The Religion of the Hindus**, New york, Ronald, Press, 1953.

-CHARLES ELIOT: **Hinduism and Buddhism**, 3 volumes, London, Routtedge and Kegan Paul, 1954.

(3) أسعد السحمراني: **الهندوسية والبوذية والسيخية**، دار النفائس، بيروت، 1999م، ص81.

(4) هي حالة السلام الدائم المتحقِّقة من حالة الإندماج المطلق والكامل بالمخلِّص «بوذا».

(5) محمد العريبي: **الأديان الوضعية الحية**، لا د. لا ط. لا ت. ص141.

دورتها في الأبدان، لتصل إلى السلام الدائم المتحقّقة بالاندماج المطلق بالمخلِّص بوذا، وهي المسماة بحالة: «النيرفانا»[1].

3. التناسخ في الفكر اليوناني

نُسب القول بالتناسخ إلى فيثاغورس[2] وأنباذوقليس[3]، إذ حرَّما قتل الحيوان أو أكله لأنهما اعتقدا بأنّ الأرواح الإنسانية يمكن أن تتناسخ في الحيوانات والنباتات، ومن الجائز أن يكون هذا الحيوان قريبًا لنا، فنكون بذلك قد قتلنا أو أكلنا أقاربنا[4].

والحقيقة أنّه كان لفكرة التناسخ أثرها على مستوى بعض المسلمين، إذ تسرَّبت إلى عددٍ من مذاهبهم وفرقهم بوسائط مختلفة[5]. وبالمقابل بادر العديد من فلاسفة الإسلام ومتكلِّميه إلى نقدها وإبطالها بأدلّة عقليّة ونقليّة، لا سيَّما وأنّ جميع الذين تأثّروا بها كانوا قد اعتمدوا على أدلّة يُتوهّم من ظاهرها التناسخ بغضِّ النظر عن باطنها المحفوف بالقرائن على العكس.

---

(1) للمزيد راجع:
-J.G. JENNINGS: **The Vedantic Buddhism of the Buddha**, Oxford, Oxford University, Press 1948.
-ARCHIE BAHM: **Philosophy of the Buddha**, New york, Harper, 1962.

(2) فيثاغورس الساموسي (570/ 495 ق.م): فيلسوف يوناني، مؤسس الفيثاغورية، كانت فلسفته مرتبطة بالرياضيات وعلم الأعداد، تعاليمه السياسية والدينية ألهمت الفلاسفة أفلاطون وأرسطو والغرب عمومًا. نُسب له العديد من الاكتشافات الرياضيّة والعلميّة كنظريّة التناسب وكروية الأرض والتناغم الفيثاغوري. لم يبق أي كتابات أصيلة له. وعرفت تعاليمه عبر بعض معاصريه من قبيل كزينوفانيس الكولوفوني.

(3) أنباذوقليس (490/ 430 ق.م): طبيب وفيلسوف يوناني في مرحلة ما قبل سقراط، أطلق عليه أرسطو لقب «أبو الخطابة»، كانت فلسفته المنشأ لنظرية العناصر الأربعة. اقترح وجود قوى أطلق عليها الحب والبغض كسبب لتمازج العناصر أو انفصالها عن بعضها، ويعد أول من وضع نظرية في الضوء والرؤية. يعدّ آخر فيلسوف إغريقي يدوِّن أفكاره وفلسفته كأبيات شعرية.

(4) لعلّ الدافع إلى هذا القول كان أخلاقيًّا يهدف إلى تنفير الناس من ممارسة العنف وارتكابه.

(5) لا يخفى أنّ هذا التسريب لا يزال مرتكزًا في أذهان بعض المسلمين، حيث نلاحظ أحيانًا الدعوة إلى عدم قتل الفراشة التي تدخل إلى المنزل ليلًا وتحلِّق حول المصباح، وذلك مخافة أن تكون روحًا لأحد أقارب صاحب المنزل، والذي لا يزال على عهد قريب بالموت.

ب. التناسخ عند شيخ الإشراق

تعرَّض السهروردي لمسألة التناسخ في أكثر كتبه، وذلك على غرار الفلاسفة المشّائين، وقد مال إلى إنكاره وحشد الأدلّة على بطلانه، وإن ظهر في بعض نصوصه الميل إلى قبوله، ما يدفعنا إلى التحقُّق من حقيقة موقفه بإزاء مواقف الآخرين.

وفي هذا الإطار، فقد عرض السهروردي الآراء المختلفة في موضوع التناسخ، فتبيّن له اتّفاق الفلاسفة على ضرورة خلاص النفوس النورانية من الأجسام المظلمة، فيقول: «وصغى أكثر الحكماء إلى هذا «أي: إلى التناسخ»، إلّا أنّ الجميع متّفقون على خلاص الأنوار المدبِّرة الطاهرة إلى عالم النور دون النقل»[1].

ولا يبعد أن يكون هذا العرض إنما هو لبيان نقطة الاتّفاق بين هؤلاء جميعًا، وهي أنّه لا بُدَّ من خلاص النفس وتحرُّرها من الجسد، وإن كانت التفاصيل الجزئيّة حول هذا الموضوع إنّما هي قابلة للنقاش، لأنّ القول بالتناسخ يستتبع مشكلات على مستوى فهم الوجود، بل يصطدم على هذا الأساس بطبيعة الفهم المشّائي والإشراقي لعلاقة النفس بالجسد.

وفي هذا الإطار، لا ضير في الإشارة إلى أنّ بعض الباحثين ينسب إلى السهروردي القول بالتناسخ[2]، ويُرجِعه إلى فكرة الخطيئة التي يتَّصف بها الإنسان، ويعدّ أنّ الخطيئة تستلزم التطهُّر، وهو لا يتمُّ إلا بالتناسخ، أي بعدما تحلّ النفس في جسدٍ آخر لكي تتطهَّر من آثار المادّة والظلمات، وبذلك تكتمل دورتها الإشراقية وتعود بعد ذلك إلى موطنها الأصلي طاهرة نقية من الأدناس[3].

(1) السهروردي: **حكمة الإشراق**، مصدر سابق، ص 221ـ222. وقوله: «دون النقل» تعني من دون توسُّط عملية التناسخ، أو فقل: من دون نقل النفس من هذا الجسد إلى جسدٍ آخر.

(2) للمزيد راجع: محمد علي أبو ريّان: **أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي**، دار الطلبة العرب، بيروت، 1969، ص 355.

(3) لكن لا يخفى أنّ هذا الكلام ـ على جماله ـ ربّما يتضمن سعيًا إلى تحميل السهروردي ما لا يقصده، إضافة إلى محاولة إثبات مدى تغلغل الفكر الشرقي القديم في جوهر فلسفته، لأنك إذا بحثت في جميع كتبه فإنك لن تجد أي أثر لفكرة الخطيئة والتطهُّر، الأمر الذي يرجّح إنّ تكون الفكرة من لدن «أبو ريّان» وقد نسبها خطأً واشتباهًا إلى شيخ الإشراق.

وعلى كل حال، ربّما يُفهم موقف السهروردي من التناسخ في كتابه حكمة الإشراق من خلال إشارته إلى أنّ «النور المجرَّد المدبِّر لا يُتَصوَّر عليه العدم بعد فناء صيصيته»[1]، بمعنى أنّ النفس التي هي جزء من النور المجرّد لا يُتصَوّر فيها العدم بعد فناء جسدها، فهي دائمة مستمرّة، ودوامها إنما يكون من خلال انتقالها من بدن إلى بدن.

وانطلاقًا من رفض السهروردي فكرة فناء النور المجرَّد بعد فناء الجسد، بما يعتقد أنّ وجود هذا النور يستند في الأساس إلى ضرورة موجِده، فإنّه بعد الموت أو فناء الجسد تبقى الحاجة مستمرّة إلى وجود جسد آخر تحلّ فيه هذه النفس من أجل استكمال دورتها الإشراقيّة سعيًا نحو الخلاص، وهو ما يحتّم القول بضرورة التناسخ.

لكن هذا الكلام حول سعي النفس إلى الخلاص عن طريق جسد آخر يمكن تصويره بصورة أخرى تنفي الحاجة للقول بالتناسخ، وهي صورة القول بأنّ الخلاص إنما يتمّ عن طريق انفصال الروح عن الجسد وعودتها إلى عالمها العلوي. وبناءً عليه؛ فليس التناسخ أمرًا ضروريًّا بعد الموت من أجل تحقُّق الخلاص، بل يتمّ لها ذلك بمجرَّد تواصلها مع الأنوار الإلهيّة المجرَّدة.

وإن لم يكن موقف السهروردي من التناسخ واضحًا في حكمة الإشراق، فإنّه يصل إلى أعلى درجات الوضوح في كتابه «**اللمحات**»، إذ يقول: «التناسخ محال، فإنّ النفس لو انتقل تصرُّفها إلى جرم آخر لوجب أن يكون مزاجها «الذي تنتقل إليه» صالحًا للتصرُّف فيه، والمزاج عينه تتنزَّل إليه نفس خاصّة معيّنة له أزليًّا ومحفوظة في العالم العلوي، فيكون للجسد الواحد نفسان مستنسخة وفائضة وهذا محال، إذ لا شعور للإنسان إلّا بنفسٍ واحدة هي هويَّته»[2].

(1) شهاب الدين السهروردي: **حكمة الإشراق**، مصدر سابق، ص 222–223.

(2) شهاب الدين السهروردي: **اللّمحات**، تحقيق إميل المعلوف، دار النهار، بيروت، 1991، ص 236.

ج. التناسخ عند صدر المتألّهين

يرفض صدر الدِّين الشيرازي القول بالتناسخ على غرار السهروردي، وإن توسَّع في عرضه لآراء التناسخيّين وحججهم، ثم في مناقشتها وإبطالها، وفقًا للمنهج الذي سار عليه في كتابه «**الحكمة المتعالية**»، فهو يشير إلى أنّ التناسخيّين ذهبوا إلى امتناع تجرُّد شيء عن النفوس بعد المفارقة عن البدن المخصوص[1]، لأنها جرميّة دائمة التردُّد في أبدان الحيوانات وغيرها.

ويردُّ عليهم ملّا صدرا بأنّ الأمر لا يخلو من أن تكون النفوس منطبعة في الأبدان أو مجرَّدة عنها، وعلى القولَيْن لا يصحّ التناسخ. أما الأوّل فلامتناع انتقال المنطبعات من محلٍّ إلى آخر يباين الأول لاختلاف السنخ بين المنطبع وغيره. وأما الثاني، فلأنّ النفس لا بدّ لها أن توصل الجسد إلى خلاصه[2]، فلو كانت النفس دائمة التردُّد في الأجساد من غير خلاصٍ إلى النشأة الأخرى لامتنع عليها الكمال مطلقًا[3].

ولا يخفى ما في هذا الكلام من انسجام مع شيخ الإشراق على مستوى القول بخلاص النفس من الجسد عن طريق عودة اتّصالها بالملكوت الأعلى، فضلًا عن رفض التناسخ ما دام القول بخلاص هذه النفس ممكنًا من دون افتراضه، ما يعني أنّ هذا مبدأ مشتركًا بين الحكيمَيْن في هذا الإطار.

د. مقارنة بين صدر المتألهين وشيخ الإشراق

يتَّجه صدر المتألّهين إلى عرض مذهبَيْن آخرَيْن لأصحاب الاستنساخ من الحكماء، كان السهروردي قد أشار إليهما في بعض كتبه، هما:

- **مذهب القائلين بالنقل بطريقة النزول**: وهو ما نُسب إلى المشرقيِّين الذين

(1) المقصود بذلك أنّ التناسخيّين ذهبوا إلى امتناع عودة النفوس إلى عالمها المجرَّد بعد مفارقة الأبدان.
(2) على قاعدة أنّ العناية الإلهية تقتضي إيصال كل مخلوق إلى غايته وكماله.
(3) صدر الدِّين الشيرازي: **الحكمة المتعالية**، مصدر سابق، ج 9، ص 7.

قالوا باتّصال نفوس الكاملين من السعداء بعد المفارقة بالعالم العقلي، ونيلهم السعادة التي لم تخطر على قلب بشر، وانتقال نفوس غير الكاملين كالمتوسِّطين والناقصين والأشقياء من هذا البدن إلى بدنٍ آخر حيواني أو نباتي.

- **مذهب القائلين بالنقل بطريقة الصعود**: حيث ذهبوا إلى أنّ الأولى بقبول الفيض الجديد هو النبات فقط، فكلُّ نفسٍ تفيض على النبات، ثم تنتقل من الأنقص إلى الأكمل حتى تنتهي إلى مرتبة الإنسان[1].

ثم يغوص ملاّ صدرا بعد ذلك في طرح أدلّته على إبطال هذَيْن المذهبَيْن، فيذكر حجَّتَيْن في سياق كلامه:

- **الأولى**: إنّ النفس إذا تركت تدبير البدن لفساد المزاج وخروجه عن قبول تصرُّفها، إما أن تنتقل إلى عالم العقل، أو إلى عالم الأشباح الأخروية، أو إلى بدن طبيعي آخر من هذا العالم، أو تصير معطلة عن تدبير نفساني.

وبناءً عليه، فالاحتمال الأوّل للمقرَّبين، والثاني لأصحاب اليمين وأصحاب الشمال على طبقاتٍ لكلٍ منهم، والثالث يلزم منه اجتماع نفسَيْن لبدنٍ واحد، والرابع محال على ما ذهب إليه.

- **الثانية**: إذا فارقت النفس البدن، كان زمن مفارقته عن البدن الأول غير زمن اتصاله بالبدن الثاني، وبين كلّ زمنَيْن زمان، فيلزم كونها في الزمان المتوسّط بين البدنَيْن معطّلة عن التدبير، وهو محال[2].

وربّما يكون ما ورد عن السهروردي في كتابه «**اللمحات**»، أنه «لا وجوب لتطابق الأعداد والأوقات لما فسد وما يكون، فالتناسخ باطل»[3]، منسجمًا مع هذه الحجّة

(1) صدر الدِّين الشيرازي: **الحكمة المتعالية**، مصدر سابق، ج 9، ص 8.
(2) المصدر نفسه، ص 12.
(3) شهاب الدين السهروردي: **اللمحات**، مصدر سابق، ص 236.

العامّة، ولكن صدر المتألهين عمد إلى إيضاحها وتبيينها بهذه الصورة القريبة جدًّا إلى الفهم.

وهكذا يظهر أنّ هناك محورًا أساسيًّا اعتُمد عليه في نقد فكرة التناسخ لدى كلٍّ من السهروردي ومُلّا صدرا، فهما يرفضان الفكرة انطلاقًا من أدلّة فلسفيّة كان المشاؤون قد وضعوها قبلهما، وعمدتها القول باجتماع نفسَيْن في بدنٍ واحد، كما يرفضانها انطلاقًا من أدلّة تأمّليّة إشراقيّة، وعمدتها عدم لزوم الذهاب إلى القول بالتناسخ ما دام هناك إمكانيّة لخلاص النفس عبر عودتها إلى عالم المثال.

واللافت في كلام ملاّ صدرا فهمه الوثيق لمنظومة السهروردي الإشراقية، فهو يستخدم المصطلحات المعتمدة فيها بصورة فنيّة، كما يناقش بعض المواقف بصورة شديدة اللصوق بالمنهج العام الذي تبنَّته هذه المنظومة، ولا يُبعِد عن سياق كلامه النصوص القرآنيّة والنبويّة التي طالما تمسَّك بها القائلون بالتناسخ، فهو يناقشها، ويبيِّن عدم دلالتها على مدَّعاهم.

الخاتمة

في ختام البحث، يمكن تسجيل أهم النتائج ضمن النقاط التالية:

- تُعبِّر عقيدة المعاد عن العودة إلى الحياة في النشأة الآخرة بعد الموت، روحيًّا أو جسمانيًّا أو بهما معًا، وبعبارة أخرى، هي العود إلى الوجود بعد الفناء، أو رجوع الأرواح إلى الأبدان بعد التحلّل والمفارقة.
- تلخّصت مواقف الفلاسفة في اتّجاهات عدّة، يتمثّل الأول منها في بطلان المعاد الجسماني والروحاني، لأن القوّة الروحيّة في الإنسان تنعدم بالموت، وإذا انعدمت فلا يُعقَل إعادة المعدوم. ويتمثّل الثاني في التوقّف وعدم الإدلاء برأي نتيجة الشكّ والتردّد.
- أما المسلمون، فقد تبنّى المتكلمون منهم الرأي القائل إن العَود إنّما يكون

للجسد عينه الذي كان في الدنيا، لأن الإنسان هو ذلك الجسد الحيّ. وعلى العكس منه، مذهب الفلاسفة المسلمين الذين عدّوا أن المعاد إنّما يتحقق بالروح فقط، باعتقاد أن الإنسان في جوهره هو هذه النفس المجرَّدة وهي ما لا يقبل الفناء لكونها بسيطة بالمعنى الفلسفي.

- ذهب معظم العرفاء والمتصوّفة إلى أنّ المعاد للروح والجسم معًا، وأن النفس ذاتها هي التي تُرَدُّ في النشأة الثانية إلى البدن ذاته الذي كانت تحلّ فيه في الدنيا، بدليل توافق ذلك مع النصوص الدينيّة.
- يُستفاد من كلمات شيخ الإشراق، إلى أنّه يذهب إلى اتّجاه الفلاسفة، لأنّه يعدّ النفس الإنسانية نورًا سجينًا في هذا البدن البرزخي، وإنّ الخلاص إنّما يتمّ عن طريق مفارقتها له، فلا يُعقل أن تعود إليه بعد المفارقة لأنّ الخلاص دائم سرمدي.
- يستدرك السهروردي بعد التفاته للآيات القرآنيّة المستفيضة في استقراب المعاد الجسماني، فيستوحي من النصوص أن المعاد في الآخرة لأجسام ذات صور محاكية للواقع الحسّي، لكنّها مثاليّة مختلفة عن طبيعة الأجسام الماديّة التي نعرفها، وبذلك يكون قد وفَّق بين الفلسفة والشريعة.
- بالنسبة لملّا صدرا الشيراز، فإنه يرى أنّ النّفس والبدن بعَيْنِهما هما اللذان يُحشران يوم القيامة، بالرغم من نظريّته حول النشأة الآخرة التي يرى أنها صور محسوسة مدركة بقوة نفسانيّة هي خيال في هذا العالم وحسٌّ في ذلك العالم.
- فيما يرتبط بالتناسخ، فقد قادت المصادر الدينيّة بعض الفلاسفة المسلمين للقول بانتقال الأرواح بعد الموت من جسدٍ إلى آخر لتعيش فيه مرّة أخرى، وذلك نوع من الثواب أو العقاب نتيجة السلوك في الحياة.
- تعود منابع فكرة التناسخ إلى الديانات الشرقيّة، وقد نرى تجليّاتها عند اليونانيّين والمصريّين القدماء، استعان بها بعض الفلاسفة المسلمين في إطار تبرير قضيّة

العدل الإلهي في حياة البشر، وأنكرها مسلمون آخرون مستندين إلى أدلّة عقليّة ونقليّة.

- تطلق الهندوسيّة على مفردة «التناسخ» مصطلح «تكرار المولد»، وترى أن الجسد المادّي يتوقّف عن الحركة ويموت، أما الجسد اللطيف فلا يفنى، بل يتقمّص جسدًا جديدًا، وتبدأ إثر ذلك دورة ثانية من الحياة لهذه الروح فيسعد أو يشقى نتيجة ما قدَّم من أعمال في حياته السابقة.
- في ما يتعلّق بالبوذية، فإنها ترى أنّ تكرار الولادات إنما هو مظهر من مظاهر الألم الذي يعانيه الكائن الحيّ، وإنّ النّفس إنما تتقلّب في الأبدان سعيًا وراء التطهُّر، إلى أن تصل إلى حالة الصفاء والرحيل من دورتها في الأبدان ليتحقّق لها السلام الدائم بالاندماج المطلق بالمخلِّص «بوذا».
- لقد نُسِبَ القول بالتناسخ أيضاً، إلى الفكر اليوناني القديم المتمثّل في فيتاغورس وأنباذوقليس اللَّذين حرَّما قتل الحيوان أو أكله لاعتقاد أنّ الأرواح الإنسانية يمكن أن تكون قد انتقلت بالتناسخ إلى تلك الحيوانات، فنكون قد قتلنا أو أكلنا أقاربنا.
- تسرَّبت فكرة التناسخ إلى عدد من فلاسفة الإسلام، ومن جملتهم شيخ الإشراق الذي مال إليها في بعض مقولاته من أجل تسويغ فكرة خلاص النفس وتطهيرها، لكنه أنكرها في مواضع أخرى من كتبه على أساس عدم الحاجة إليها ما دام خلاص النفس يمكن أن يتحقّق عن طريق عودتها إلى عالمها العلوي.
- يناقش صدر المتألهين فكرة التناسخ ويبطلها، لأنّ العناية الإلهيّة تقتضي إيصال كل موجود إلى غايته وكماله، فلو كانت النفس دائمة التردّد في الأجساد من غير خلاص إلى النشأة الأخرى لامتنع عليها الكمال مطلقًا.

المصادر والمراجع

أ. المصادر والمراجع باللغة العربية

1. القرآن الكريم.
2. أبو ريّان، محمد علي: **أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي**، دار الطلبة العرب، بيروت، 1969.
3. ابن رشد، محمد بن أحمد: **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، تحقيق محمد عمارة، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1969 م.
4. ابن سينا، الحسين بن عبد الله:
   1) **النجاة**، لا د. لا ط. لا ت.
   2) **رسالة أضحوية في أمر المعاد**، لا د. لا ط. لا ت.
5. توفيقي، حسين: **دروس في تاريخ الأديان**، تعريب أنوار صافي، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم-إيران، ط1، 1423هـ.
6. الحفني، عبد المنعم: **موسوعة الفلسفة والفلاسفة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999.
7. الرازي، فخر الدين: **الأربعون في أصول الدِّين**، تحقيق أحمد السقّا، مكتبة الكلّيات الأزهرية، القاهرة، ط 1، 1406هـ.
8. السحمراني، أسعد: **الهندوسية والبوذية والسيخية**، دار النفائس، بيروت، 1999م.
9. السهروردي، شهاب الدين:
   1) **قصة الغربة الغربية**، ضمن مجموعة مصنّفات شيخ الإشراق، تحقيق هنري كوربان، نشر مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي، طهران، 1993.
   2) **حكمة الإشراق**، ضمن مجموعة مصنّفات شيخ الإشراق، تحقيق هنري

كوربان، نشر مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي، طهران، 1993.

3) **اللّمحات**، تحقيق إميل المعلوف، دار النهار، بيروت، 1991.

10. شلبي، أحمد: **أديان الهند الكبرى**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 2، 1966م.

11. الشيرازي، صدر الدِّين: **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة**، منشورات مصطفوي، قم-إيران، ط 2، 1387 هـ.

12. الشيرازي، ناصر مكارم: **المعاد في القرآن الكريم**، دار المحجة البيضاء، بيروت، 2008.

13. العريبي، محمد: **الأديان الوضعية الحية**، لا د. لا ط. لا ت.

14. العطار، أحمد: **الديانات والعقائد**، مكة المكرمة، ط 1، 1981م.

15. الغزالي، أبو حامد محمد: **المنقذ من الضلال**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 4، 2000.

16. كولر، جون: **الفكر الشرقي القديم**، ترجمة كامل يوسف حسين، ضمن سلسلة عالم المعرفة، الرقم (199)، الكويت، 1995.

17. معلوف، لويس: **المنجد في الأعلام**، دار المشرق، بيروت، ط 12، 1982.

ب. المصادر باللغة الإنكليزية

1. MORGAN, KENNETH: **The Religion of the Hindus**, New york, Ronald, Press, 1953.

2. ELIOT, CHARLES : **Hinduism and Buddhism**, 3 volumes, London, Routtedge and Kegan Paul, 1954.

3. JENNINGS, J.G.: **The Vedantic Buddhism of the Buddha**, Oxford, Oxford University, Press 1948.

4. BAHM, ARCHIE: **Philosophy of the Buddha**, New york, Harper, 1962.

الحوكمة الإداريّة الإلكترونيّة وأثرها على تطوير الأداء الحكوميّ في العراق

نمير علي عبد الوهّاب علي العبيديّ [1]

إشراف الأستاذ الدّكتور عبّاس نصر الله[2]

الملخص

سياسة الحكومة الرقميّة هي أداة الحكومة الوطنيّة التي تعمل على تعزيز التحوّل الرقميّ العام. تهدف هذه السّياسة العامّة إلى تعزيز العلاقة بين المواطن والدّولة، وتحسين تقديم الكيانات للخدمات، وبناء الثقة في المؤسّسات التي تشكّل الإدارة العامّة؛ باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. ويُعدّ برنامج التخطيط والإدارة الشّامل جزءًا من نموذج التخطيط والإدارة المتكامل (MIPG) ويتكامل مع سياسات الإدارة والأداء المؤسسيّ.

في هذا السّيناريو، تعمل العديد من المؤسسات العامّة فى العراق جاهدة لزيادة قدراتها، وتحسين خدماتها الأساسيّة، وجعلها أسرع وأسهل وأكثر كفاءة وسهولة في الاستخدام. ولذلك؛ أجبرت عمليّة العولمة الحكّام على السّعي إلى جلب المعرفة

(1) طاب دكتوراه في الجامعة الإسلاميّة، في كلية الحقوق والعلوم السّياسيّة، قسم الإدارة العامة.

(2) أستاذ محاضر في الجامعة الإسلاميّة ـ بيروت، في كلية الحقوق والعلوم السّياسيّة، Abbas.nasrallah@iul.edu.lb

واستخدامها؛ والتركيز بشكل أكبر على استخدام الإنترنت، ما يوفّر تغييرًا كبيرًا في الحياة السّياسيّة للمواطنين.

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على مفهوم الحوكمة ودورها وآليّاتها في الحدّ من الفساد الماليّ والإداريّ، وتقديم نموذج مفاهيمي لاستخدامات وفوائد الحكومة الإلكترونيّة، في ما يتعلق بالاحتيال الإداريّ والفساد الماليّ. كما تتناول الدّراسة أبعاد دور الحوكمة وأنواعها في الحدّ من الاحتيال والفساد الإداريّ والماليّ وأثرها على الأداء الحكوميّ.

الكلمات المفتاحيّة: الحوكمة، الإدارة الإلكترونيّة، الحكومة الإلكترونية، تكنولوجيا المعلومات.

Abstract

The digital government policy is a national government tool that works to promote the general digital transformation. This public policy aims to strengthen the relationship between the citizen and the state، improve the provision of services by entities، and build trust in the institutions that constitute the public administration; through the use and exploitation of information and communication technology. The comprehensive planning and management program is part of the integrated planning and management model - MIPG and integrates with management policies and institutional performance.

In this scenario، many public institutions in Iraq are working hard to increase and prove their capabilities، improve their basic services، and make them faster، easier، more efficient and easier to use. Therefore، the process of globalization has forced rulers to seek to bring and use knowledge; - Focus more on the use of the Internet، which provides a major change in the political life of citizens.

This research aims to shed light on the concept of governance، its role and mechanisms in reducing financial and administrative corruption، and to provide a conceptual model for the uses and benefits of e-government،

in relation to administrative fraud and financial corruption. The study also addressed the dimensions، types and role of governance in reducing fraud and administrative and financial corruption and its impact on government performance.

Keywords :Governance، Electronic Management، Electronic government، information technology.

مقدّمة

يمكن تعريف الحكومة الإلكترونيّة على نطاق واسع بأنّها استخدام الإنترنت وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتحسين كفاءة المنظّمات العامّة لصالح المواطنين. إنّها أداة مهمّة في مختلف الأماكن العامّة، حيث تسمح بتوفير الخدمات الإداريّة على أي مستوى ومن أي مكان يعيش فيه المستخدمون، ما يجعل هذه الخدمات أكثر وضوحًا وسهولة في الوصول إليها وكفاءة وراحة للمواطنين. في أوروبا، وضعت بلدان مختلفة استراتيجيّات وعمليّات وأساليب لرقمنة خدماتها الإداريّة، وتعزيز التعاون وتسهيل الخدمات العامّة. وتتمثل هذه الأفكار في الحكومة الإلكترونيّة التي تُظهر زيادة رضا المواطنين من خلال تعزيز ثقة الحكومة التي تكون قريبة منهم في جميع الأوقات، من خلال استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات.

في الأمريكيّتين، اعتمدت البلدان، في الآونة الأخيرة، العديد من الإصلاحات التنظيميّة والقانونيّة لتحسين الإدارة العامّة، ما مكّن من تحسين الحكومة الإلكترونيّة، وعلى وجه الخصوص، تحسين الحوكمة، وجعلها أكثر كفاءة وأقرب إلى المواطنين باستخدام التكنولوجيا الرقميّة الذي يوفر اتّصالًا فعّالًا وناجحًا وشفّافًا وسريعًا بين الدّولة والسّكان.

على المستوى المحلّيّ، فإن التواصل الإلكتروني يدعم العمليّات البلديّة، ويتفاعل مع المواطنين، ويقدم خدمات فعّالة؛ يؤدّي دورًا مهمًّا في إدارة القانون العام؛ في إطار

نظام التعاون بين المواطنين والسّلطات والحدّ من الفساد وزيادة الشفافيّة وتعزيز الحكم الرشيد. وهذا يعني تنظيم العمليّات وتغييرها من خلال اكتساب المهارات حتى تتمكّن السّلطات المحليّة من تقديم الخدمات للمواطنين بسرعة؛ وهو أمر ضروريّ لبناء هياكل ديمقراطيّة قوية.

إنّ البلديّات التي تنفذ الحكومة الإلكترونيّة تعمل على تحسين قرارات القيادة، وتسهيل الكفاءة، وتحقيق قدر أكبر من المساءلة أمام المواطنين وتوفير فرص جديدة للسلطات البلديّة لتحسين تقديم الخدمات بطريقة مسؤولة وفعّالة. الأمر الذي سيعتمد على قدرة البلديّات على تنفيذ الهياكل والأساليب الإداريّة القادرة على الاستجابة بسرعة للظروف المتغيّرة، لتحسين الإنتاجيّة والخدمات المقدّمة للمواطنين.

ولمكافحة الفساد، ينبغي للحكومات التركيز على تحسين جودة الخدمات العامّة من خلال أساليب الحكومة الإلكترونيّة التي يمكن أن تعمل على تحسين أداء مؤسّساتها، وتعزيز الحوكمة وزيادة شفافيّة النظام الحكوميّ. وإن جعل المعلومات متاحة للمواطنين من شأنه أن يساعد في السّيطرة على الفساد بشكل أفضل؛ وتوفير الحلول لتحسين أداء وفعالية إدارة الدّولة.

بهذه الطريقة، تعمل الحكومة الإلكترونيّة على تعزيز تدخّل المواطنين وإزالة الحواجز الشائعة مثل المكان والزمان. وهي مسؤولة عن خلق أشكال جديدة من التفاعل بين الحكومة والمواطنين، والتي يمكنها استخدام الشّبكات الاجتماعيّة للتواصل. ويُعدّ التدخّل في الحيّ أحد المحرّكات الرئيسة للابتكارات الكبرى في تحقيق النتائج. ويعدّ هذا التبادل وسيلة لإشراك المواطنين في السّياسة ومعالجة المشكلات الاجتماعيّة بشكل أفضل[1].

(1) Anupriya Khan and Satish Krishnan and Amandeep;Dhi; **Electronic government and corruption: Systematic literature review، framework، and agenda for future research**، June 2021، 120737، p 106، on: https://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0040162521001694

يمكننا، في هذه الورقة البحثيّة، التعرّف إلى الحكومة الإلكترونيّة ودورها في الأداء الحكوميّ في العراق، ما يسمح بإنشاء خيارات قياديّة قابلة للتغيير وفقًا للاحتياجات الجديدة للسّكان؛ حيث تدخل الحكومة الإلكترونيّة في الحكومة المركزيّة والمحليّة لتكون أداة رئيسة للنمو والنجاح.

هدف البحث

يهدف البحث إلى توضيح مفهوم الحوكمة وبدايتها وأهميّتها في الإدارة للحكومة وطبيعتها، وتأثيرها في التطبيق في جمهوريّة العراق.

إشكاليّة البحث

منذ ظهور مفهوم الحوكمة كانت تعريفات غير مفهوم للجميع ومثيرة للجدل؛ لذلك يدور تساؤل البحث حول:

ـ كيف يمكن أن تظهر أهمّية الحوكمة ودورها فى أعمال الإدارة في العراق؟.

منهجيّة البحث

استخدم الباحث المنهج الوصفيّ لسرد الحدث وجمع البيانات عن الظواهر لتحليلها بالاعتماد على مصادر موثوقة.

أوّلًا. ماهيّة الحوكمة وأهمّيتها

بات من الضروريّ مواكبة التطوّر السّريع الذي يشهده العالم في تطوير الجانب الإداريّ في الحكومات من خلال الحوكمة الإلكترونيّة. لذلك؛ سنتناول ماهيّة الحوكمة وأهميّتها ونتحدث عن مفهوم الحكومة الإلكترونيّة وكيفية تنظيم الإدارات، حيث أن الأخير تناول الفرق بين الحوكمة والإدارة.

تُعدّ الحكومة الإلكترونيّة ابتكارًا مهمّا، والغرض منها هو تقديم خدمات فوريّة

للمواطنين والمسؤولين الحكوميّين والشّركات؛ حيث تؤدي الحكومة دورًا مهمًّا في خلق المساحات وتحفيز وكالات الدّولة وتطويرها، وخلق علاقات قوية مع المواطنين على المدى الطويل.

ومع تزايد استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات في الإدارة الحكوميّة، ما يزال الجدل قائمًا حول تأثير هذه التكنولوجيا الجديدة على فعّاليّة الإدارة الحكوميّة. إنّ المعرفة الإداريّة الحالية تسمح للوكالات الحكوميّة بتقديم منتجات عامّة جديدة ومتجدّدة لتحسين احتياجات السّكان؛ من خلال زيادة الكفاءة وخفض التكاليف البيروقراطيّة. ولقد تأثرت إدارة الإدارة العامّة منذ عدة سنوات ببعض التغييرات العميقة التي أدت إلى رقمنة مستمرّة ومتنامية للعمليات التي تتكوّن منها. في كثير من الأحيان، يُشار إلى تطبيق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على الوظائف والإجـراءات التي تستخدمها الحكومات للإفادة من الفوائد التي تجلبها وسائل الإعلام الجديدة والاستخدام الجديد والأوسع للرقمنة، باستخدام التعبير الإنكليزي « الحكومة الإلكترونيّة»[1].

أ. مفهوم الحكومة الإلكترونيّة

قبل الخوض في اكتشاف الفرص كافّة التي توفّرها هذه العمليّة، نحاول تقديم مفهوم رسميّ للحكومة الإلكترونيّة . يمكن استخدام هذا المصطلح للإشارة، في آن، ومن دون المخاطرة بالخطأ، إلى جانبَيْن من المفهوم. وبطريقة عامّة إلى حدّ ما، تُعرّف الحكومة الإلكترونيّة على أنّها أي وسيلة متطوّرة يمكن أن تستخدم التقنيات المبتكرة في العمليّات الإداريّة التي تخدم الإدارة العامّة، والهدف منها تحسين كفاءة خدماتها. ويعدّ من ضمن المشاريع الواسعة النطاق، والتي يتراوح بين استخدام أجهزة الاتّصالات التكنولوجية، مثل أجهزة الكمبيوتر والإنترنت، من أجل ضمان وصول

(1) علاء عبد الرزاق السالمي: **أساسيات نظم المعلومات الإدارية**، دار المناهج للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2005، ص 56.

المواطنين، بشكل مباشر ومريح إلى الحكومة والخدمات التي تنوي تقديمها[1].

في هذه الخطوة الأخيرة بالتحديد؛ تحتاج إلى التركيز لفهم المعنى الآخر لكلمة الحكومة الإلكترونيّة. لذلك؛ تُعرّف خدمات الحكومة الإلكترونيّة بأنّها الخدمات كافّة التي يمكن أن تقدّمها الإدارة العامّة المركزية للإدارات العامّة المحليّة، والتي تجد تجسيدًا ملموسًا في إعداد قواعد بيانات معيّنة تحتوي على وثائق مفيدة للأغراض المؤسّسية والوصول إليها. وعلى الرغم من وجود هذا الانحراف للتعبير، إلا أنّ كلمة الحكومة الإلكترونيّة تُستخدم، في أغلب الأحيان، للإشارة إلى العدّادات الافتراضيّة الفعليّة التي تخدم السّلطة العراقية لتقديم الخدمات للمواطنين بطريقة أبسط وأسرع. ومع عدم وجود ترجمة واحدة لهذا التعبير، نستطيع القول إنّ المصطلح الإيطاليّ «الحكومة الإلكترونيّة» هو الأكثر فعاليّة، ولكن أيضًا «الإدارة الرقميّة». وعلى وجه التحديد، قد يكون الترجمة الثانية للمصطلح مناسبة بشكل خاص، وذلك على وجه التحديد لشرح دور تقديم الخدمات الذي يمثّله[2].

ب. التنظيم في الإدارة العامّة والمزايا التي تجلبها

في كثير من الأحيان، عند الإشارة إلى الحكومة الإلكترونيّة، يتبادر إلى الذهن التنظيم في الإدارات العامّة، حيث يميّز بين مجالَيْن من التفاعلات التي تتمّ بوساطة التكنولوجيا. على أي حال، ومهما كانت الطريقة التي نتّبعها في إعداد التحليل، فإن الفوائد الناجمة عن الإدارة الرقميّة متعدّدة ومختلفة الأنواع.

(1) Aleksey V. Minbaleev andKirill S. Evsikov: **Anti-Corruption Information Technologies**، November 2021، Journal of Siberian Federal University Humanities & Social Sciences 14(11):1674-1689، p 85، On:
https://www.researchgate.net/publication/367820560_Anti_Corruption_Information_Technologies.

(2) Kuhlmann، S.، & Heuberger، M.: **Digital transformation going local: implementation، impacts and constraints from a German perspective PUBLIC MONEY & MANAGEMENT**، 2023، VOL. 43، NO. 2، 147155-، p 148، on:
https://doi.org/10.108009540962.2021.1939584/.

وفي التفاعل بين الحكومة والحوكمة، من المحتّم أن يؤدي هذا النوع من العمليّات إلى تحسين الكفاءة الداخلية للبيروقراطيّات العامّة. إن أتمتة المهام والتبادل السريع للمعلومات، و«قناة» مباشرة للتواصل بسرعة وفعاليّة، تمثل آفاقًا مهمّة للدول والمنظّمات.

هناك جانب ثانٍ مهمّ للغاية يرتبط، كما يمكننا أن نتصور بسهولة، بالتفاعلات بين الحكومة والمواطن. إن استخدام الإنترنت لتقديم الخدمات العامّة ودمج آليات التغذية الراجعة يسمح للمستخدمين بالوصول إلى هذه الخدمات بسهولة أكبر، والتعبير عن احتياجاتهم بسرعة أكبر. ويبدو من غير الضروريّ تحديد ذلك، ولكن من المهمّ أن نتذكر أن استخدام خدمات الحكومة الإلكترونيّة يعني توفيرًا كبيرًا للوقت بالنسبة إلى المواطن، حتى لو كان مجرّد الذهاب إلى مكتب عام، ولكن أيضًا وقبل كلّ شيء تسريع العديد من الخطوات، والتي قد تبطئها البيروقراطية، وتاليًا تشكّل عقبة أمام الاستخدام الفعال لما تقدمه السّلطة العراقية[1].

ج. الفرق بين الحوكمة والإدارة

ينبغي أن يكون الهدف الأساسي لنظام الحكم الجيّد في أي مؤسسة هو تحقيق التوازن بين المصالح المتنافسة لمجتمع أصحاب المصلحة. لذلك؛ هناك مجالات عديدة يجب مراقبتها خلال العمليات الإلكترونيّة هي:

- تحديد أهداف المنظّمة أو المؤسّسة.
- تحديد قِيَم المنظّمة.
- الثقافة الداخليّة المبنيّة على تلك الأهداف والقِيَم.
- تصميم العمليّات اللازمة للمنظمة.

(1) Afrizal، D.، & Wallang، M.: **Attitude on intention to use e-government in Indonesia**، Indonesian Journal of Electrical Engineering and Computer Science، 2021، 22(1)، p 435.

- تمكين الإدارة.

بدلًا من ذلك، تركّز وظائف الإدارة على تحقيق أهداف المنظّمة ضمن إطار الحوكمة المعمول به. وهنا يمكن إدراج الوظائف الخمس للإدارة، وهي:

- وضع السيناريوهات والتوقّعات والخطط المستدامة.
- تنظيم الخطط وتنفيذها.
- قيادة الناس لتحقيق أهدافهم.
- تنسيق الأنشطة الإداريّة.
- التحقّق من التنفيذ الصحيح للأنشطة، والتحقق من تحقيق الأهداف من خلال إدخال التصحيحات اللازمة.

كما ترون، فإن الفرق بين الحوكمة والإدارة هو، على وجه التحديد، أن نظام الحوكمة في منظمة ما، يحدّد القواعد التي يتعيّن على الإدارة اتّباعها في تنفيذ أعمالها. ويجب تاليًا أن يكون تعريف هذا النظام من ضمن المهام الأساسيّة لمجلس الإدارة أو الهيئة الحاكمة الرئيسية للمنظمة[1].

لهذا؛ قد تستعين أغلب الحكومات بمبادرات الحكومة الإلكترونيّة لتحسين الخدمات الاجتماعية. وتشمل هذه الأهداف تقديم الخدمات، والحدّ من الفساد، ونشر المعلومات، ودعم الشفافيّة، وزيادة المشاركة الديمقراطيّة. وتتضمن الحكومة الإلكترونيّة نهجَيْن لتحقيق مبادرات الحكومة الإلكترونيّة. وهذه الأساليب داخليّة وخارجيّة.

أما النهج الداخلي، فيتعلق بتعامل الحكومة مع موظّفيها ومع الحكومة نفسها. ولقد أدّى التطوّر السريع لهذه التكنولوجيا إلى تغيير كبير في طريقة تفاعل الحكومات

(1) Homburg، V.، & Moody، R.: **Citizens' social media adoption in Paraguay، BRAZILIAN JOURNAL OF PUBLIC ADMINISTRATION | Rio de Janeiro**، 55(5): 10771100-، Sept. - Oct. 2021، p 1080.

الحديثة مع مواطنيها وتقديم الخدمات لهم في نهاية المطاف. وقد أدركت معظم الحكومات هذه التكنولوجيا من خلال التحوّل من إدارة الخدمات التقليدية إلى الإدارة الرقميّة أو الإلكترونيّة. لقد جعلت الحكومة الإلكترونيّة الخدمات الحكوميّة متاحة لمواطنيها في الوقت المناسب، فقد أدّت إلى زيادة مشاركة المواطنين والشفافيّة والمساءلة في العمليات الحكوميّة ومشاركة المواطنين في صنع القرار.

لقد أدّى التحوّل نحو الحكومة الإلكترونيّة إلى تغيير هيكل الحكومات، وطريقة نقل المعلومات الحكوميّة، وعمليات صنع القرار. وعلى هذا؛ فإن هذه التغييرات لم تخلّف سوى تأثيرًا ضئيلًا على الخدمات التي تحتاج الحكومات إلى التخطيط والتنسيق لها. ومع أن تكنولوجيا الحكومة الإلكترونيّة عملت على تبسيط عمليّة تقديم الخدمات والوصول إلى المعلومات من الحكومة ومنظّماتها، فإن بعض التحدّيات تستحقّ المزيد من الدراسة والتأمّل. وتشمل هذه التحديّات: الوصول العام وإعادة تحديد حدود الدّولة والقضايا الثقافية وغيرها[1].

ثانيًا. دور الحوكمة في إدارة الأعمال في العراق

إنّ الدّور الذي تؤديه الحوكمة في الإدارة قد يوفّر الكثير من الجهد والوقت؛ فضلًا عن الدقّة في العمل والإنجاز السّريع. لذلك سنتناول دور الحوكمة في إدارة الأعمال في العراق، لبيان الحوكمة وأهميّتها.

إنّ أصحاب المصلحة، في أي منظّمة، اليوم لديهم مطالب متزايدة بشأن «الحكم الرشيد». ويصبح هذا النموّ في التوقّعات في كثير من الحالات نشاطًا حقيقيًّا يهدف إلى التأثير على الطريقة التي تحكم بها المنظّمات وتديرها. ولكن عندما نفكر في

(1) Hariguna، T.، Ruangkanjanases، A.، & Sarmini.: **Public Behavior as an Output of E-Government Service: The Role of New Technology Integrated in E-Government and Antecedent of Relationship Quality Annual Achievements ReportSustainability**، 2021، 13(13)، 7464; p 66. On: https://doi.org/10.3390/su13137464.

معنى المصطلحات، تنشأ بعض الشكوك، والتي ترجع بدورها إلى ارتباك كبير حول الفرق بين الحوكمة والإدارة. إن هذه ليست مترادفات، فالحَوكمة هي مجموعة من العمليّات التي تهدف إلى تهيئة الظروف للإدارة للعمل بشكل صحيح. وعلاوة على ذلك، يجب على نظام الحكم الجيّد أن يتضمّن أيضًا المعايير والأساليب اللازمة لاختيار الإدارة الأكثر ملاءمة لدعم التحديّات التي تنشأ[1].

تجد المنظّمات الكبيرة، بشكل متزايد، أنّ أصحاب المصلحة والمساهمين فيها أصبحوا أقلّ تسامحًا مع مشكلات الإدارة التي لم تُعالج، ما يؤدّي إلى نتائج سيّئة. وفي بعض الحالات، يتجلّى هذا الافتقار إلى التسامح في التحقيقات الحكوميّة والدعاوى الجماعيّة. كلّ هذا يعني أنّ فشل المبادرات والمشاريع التي ربّما كانت مقبولة في الماضي من غير المرجّح أن يتسامح معها في المستقبل[2]. وبالنسبة إلى العديد من الشّركات، يعني هذا إعادة النظر في سلسلة القيمة الخاصّة بها من خلال استثمارات كبيرة للحصول على مزايا تنافسيّة مستدامة، في بعض أجزائها على الأقلّ. إنّ فهم الفرق بين الحوكمة والإدارة أمر ضروريّ لجعل هذا ممكنًا.

أ. دور الحوكمة الإلكترونيّة وأثرها

لقد أثبتت تجربة الحكومة الإلكترونيّة في المجتمع العولميّ أنّها نظام يمكّن من تنمية الأمم ويزيد من التعاون فيما بينها. ولهذا السّبب أصبحت الحكومة الإلكترونيّة ضرورة لنمو أي بلد؛ حيث تعدّ أداة إستراتيجية قوية تعمل على تحسين نوعية حياة المواطنين. لذا، فإنّ العالم يدرك التأثير الإيجابيّ لتكنولوجيا المعلومات والاتّصالات،

(1) Anupriya Khan and Satish Krishnan and Amandeep Dhi**: Electronic government and corruption**، Previous reference، p107.

(2) زكي حسين الـوردي ومجبل لازم المالكي: **مصادر المعلومات وخدمات المستفيدين في المؤسسات المعلوماتية**، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان_ الأردن، 2002، ص 106.

والحكومة الإلكترونيّة هي اتجاه أساسيّ وعالميّ[1].

في هذه الأوقات، تعدّ الحكومة الإلكترونيّة أحد العوامل الرئيسة لزيادة القدرة التنافسيّة لأي دولة. فهي وسيلة تعتمد على تكنولوجيا المعلومات، وتسهم في تسهيل وسرعة الخدمات المقدّمة للأفراد والشّركات والمسؤولين والمؤسّسات الحكوميّة، وتحسين كفاءة الإدارة وفعاليّتها. وتدرك المؤسّسات العامّة في الدّول هذا النمط الجديد من الطلب وتعدّه أداة يجب أن تقود وتبتكر تغييرات عميقة، لأنّ الدّولة بحاجة إلى الاستمرار في التطوّر، والحكومة الإلكترونيّة هي وسيلة مهمّة لجعل ذلك ممكنًا. إنّ أتمتة أو تثبيت البرمجيّات والأجهزة في الإدارة العامّة، وتنفيذ شبكة الإنترنت، كونها وسيلة اتصال جديدة مع المواطنين من خلال الويب، لا يكفي للحديث عن الحكومة الإلكترونيّة[2]. إذ يتطلّب إنشاء «الحكومة الإلكترونيّة» إعادة هيكلة الخدمات العامّة على عدة مراحل، مع استثمار قوي في كلّ من الموارد البشريّة والبنية التحتيّة في جميع أجهزة الدّولة وكياناتها؛ وهذا يتطلّب تغييرًا ثقافيًّا، وهو عامل أساسيّ لنجاح إنشاء الحكومة الإلكترونيّة.

يمكن القول إن الحكومة الإلكترونيّة (e-gov)، هي «الاستخدام الاستراتيجيّ لتكنولوجيا المعلومات والاتّصالات لتحسين الخدمات والمعلومات المقدّمة للمواطنين، وزيادة كفاءة وفعاليّة الإدارة العامّة، وزيادة شفافيّة القطاع العام ومشاركة المواطنين في السّياسات العامّة بشكل كبير»[3].

وإن التحوّل الرقميّ الذي أدّى إلى الاستخدام الواسع النطاق للتقنيّات الرقميّة، له

(1) محمد بن أحمد السديري: **مفاتيح النجاح في تطبيق الحكومة الإلكترونيّة**، المؤتمر الوطني السابع عشر للحاسب الآلي، جامعة الملك عبد العزيز، المدينة المنورة، 2004، ص 96.

(2) Isaac Kofi Mensah and Guohua Zeng،and Chuanyong Luo.: **E-Government Services Adoption: An Extension of the Unified Model of Electronic Government Adoption**. June 10، 2020، P 142. On: https://doi.org/10.117721582440209335/.

(3) سحر قدوري الرفاعي: **الحكومة الالكترونية وسبل تطبيقها: مدخل استراتيجي**، مجلة **اقتصاديات شمال إفريقيا**، العدد السابع، 2020، ص 307.

تأثير كبير على تطوير مجالات الحياة العامّة كافّة. وهذه العمليّة حتميّة ومرحلة طبيعيّة في تطوّر المجتمع؛ ويهدف إلى حلّ مجموعة كاملة من المشكلات، والتي تؤدي في نهاية المطاف إلى تحسين نوعية حياة السّكان. ومن بين أهمّها، من الضروريّ الإشارة إلى زيادة توافر الطبّ والتعليم وجودتهما، ومستوى راحة الحياة لسكان المناطق الحضريّة والريفيّة، وإنشاء منصّات مختلفة تهدف إلى حصول المواطنين على الخدمات الحكوميّة بشكل إلكترونيّ، وظهور مهن جديدة، وتطوير سوق العمل، وضمان الأمن العام والدّولة في مختلف المجالات، إلخ[1].

كما تظهر تكنولوجيا المعلومات، في سياق الحكومة الإلكترونيّة، أداةً قوية لتعزيز مشاركة المواطنين. ويأتي ذلك في إطار التنمية القائمة على المعرفة والتزامها ليس فقط بالإمكانات التقنيّة لتطوير تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات ضمن العمليات التجارية لكلّ مؤسّسة عامة، بل وأيضًا بالسهولة والتقنيّة لوصول المستخدمين إليها. ولتحقيق هذا الهدف، من الضروريّ أن تكون هناك بنية تحتيّة تكنولوجيّة مناسبة في البلاد بتكلفة معقولة.

إنّ استخدام موارد تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات لتعزيز قدرة الحكومة على تحقيق أهدافها وتقديم خدماتها للمواطنين بكفاءة أمر ضروريّ للغاية. فمع الحكومة الإلكترونيّة، تتغيّر فلسفة التطبيقات العموديّة، ولم تعد هناك تطبيقات معزولة، بل أصبحت الآن خدمات يمكن استخدامها وإعادة استخدامها، بحسب الحاجة، من الإدارات والمجالات المختلفة في المنظّمة، وتقاسمها مع المؤسّسات العامّة الأخرى. وتتجلّى العواقب والتأثيرات على رعاية المواطنين على الأقلّ في عدة جوانب، منها ما يمكن للمستخدمين تلقي الرعاية من دون قيود زمنية، وبصرف النظر

(1) Maha Farooq Ezzat Al-rubaye: **Administrative Corruption: Causes And Solutions Special Reference To Iraq**، International Journal of Professional Business Review، International Journal of Professional Business Review، 7 No. 5 (2022)، P 122، on: https://doi.org/10.26668/businessreview/2022.v7i5.e1015.

عن موقعهم الجغرافي، ويمكن للمستخدمين الوصول إلى المعلومات العامّة بطريقة بسيطة وفي الوقت المناسب وواضحة وشفّافة[1].

بعد ذلك، سنقوم بفحص بعض التمييزات المتعلّقة بالحكومة الإلكترونيّة بشكل موجز فى العراق وفقًا لهذا التعريف، فإن الحَوْكَمة الإلكترونيّة هي مفهوم أوسع وأبعد مدى من الحكومة الإلكترونيّة. وتنشأ الحكومة المفتوحة من الاعتقاد بأنّ وصول المواطنين إلى المعلومات الحكوميّة يُعدّ حقًّا أساسيًّا يعزز المؤسسة العسكرية الديمقراطيّة[2].

كذلك يمكن القول إن الإدارة الإلكترونيّة هي المجال المتعلّق بتحسين العمليات الحكوميّة والأداء الداخلي للقطاع العام من خلال عمليات جديدة والخدمات الإلكترونيّة (e-services)، وتشير إلى تقديم خدمات أفضل للمواطنين.

ب. فوائد الحكومة الإلكترونيّة

هذه العلاقات بين الحكومة والموظفين والمواطنين والشّركات محدّدة بوضوح، وتحدّد الأنشطة بطريقة واضحة وصريحة للغاية. في ما يلي سنحدد أنواع العلاقات المذكورة:

- تهدف مبادرات الحكومة الإلكترونيّة من الحكومة إلى المواطن (G2C)، إلى تقديم الخدمات الإداريّة والمعلوماتية للمواطنين من خلال تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات، أي من أيّ مكان يمكن الوصول إليه وفي أيّ وقت.
- مبادرات الحكومة الإلكترونيّة من الحكومة إلى الشّركات (G2B)، هي تلك التي تهدف إلى تقديم الخدمات الإداريّة والمعلوماتيّة للشركات من خلال

(1) محمد محمد الهادي يعقوب: **الحكومة الإلكترونيّة وسيلة للتنمية والإصلاح الإداري**، البوابة العربية للمكتبات والمعلومات، مصر ـ القاهرة، 2006، ص 163.

(2) محمد بن أحمد السديري: **مفاتيح النجاح في تطبيق الحكومة الإلكترونيّة**، مرجع سابق، ص 205.

الإنترنت.

- مبادرات الحكومة للموظّف (G2E)، هي مبادرات تطوّرها الحكومة لتوفير خدمات التطوير المهني لموظّفي الإدارة العامّة.
- تستجيب الشراكات بين الحكومات (G2G)، للحاجة المتزايدة إلى التنسيق بين الحكومات لإدارة مهام الإدارة العامّة المختلفة: الموازنات، والمشتريّات، والتخطيط، وإدارة البنية التحتية والمخزونات.
- يُعدّ تحسين جودة الخدمات العامّة، أحد النتائج المحتملة الرئيسة للحكومة الإلكترونيّة التي حدّدت في الدراسات السّابقة.
- أحد الأهداف الرئيسة للحكومة الإلكترونيّة هو زيادة إنتاجيّة المؤسسات العامّة وجعل العمليّات والإجراءات التي تطوّرها الجهات الحكوميّة أكثر كفاءة.
- إن الشفافيّة والمساءلة من الفوائد المحتملة، وهي مثيرة للاهتمام بشكل خاص في البلدان التي تعاني مشكلات الفساد. وفي هذه الحال، يمكن لتكنولوجيا المعلومات والاتّصالات أن تعزز وتسهل شفافية العمل الحكوميّ وعمليّات المساءلة.
- من سمات الحكومة الديمقراطيّة، إتاحة الفرص لمشاركة المواطنين بطريقة حقيقيّة وفعّالة في القرارات العامّة.
- الحكومات ليست مجرد مستخدمين لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بل لديها أيضًا القدرة الرسميّة، في الإطار التنظيمي، على إنشاء القواعد واللوائح التي تدعم تنفيذ مشاريع الحكومة الإلكترونيّة وتشجّع عليها[1].
- وعلى غرار النقطة السّابقة، تتمتع الحكومة، ضمن الإطار القانونيّ والتنظيميّ الذي يعزّز مجتمع المعلومات، بالقدرة على تنظيم بعض الإجراءات المتعلقة باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي تقوم بها كيانات أخرى، بما في ذلك الشّركات الخاصة والمنظّمات غير الحكوميّة.

(1) Kuhlmann، S.، & Heuberger، M.: **Digital transformation goes local: implementation، impacts and constraints from a German perspective.** Previous reference، p 144.

تسعى الحكومة الإلكترونيّة إلى تطوير الحكومة من خلال تغيير نموذج إدارتها. وهو مفهوم إداري يدمج، من خلال الاستخدام المكثّف لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بين أساليب الإدارة والتخطيط والإدارة، كشكل جديد من أشكال الحكومة. ومن هذا المنطلق؛ تعتمد الحكومة الإلكترونيّة في تطبيقها على الإدارة العامّة، بهدف الإسهام في استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات لتحسين الخدمات وتبسيط عمليّات الدعم المؤسّسي وتسهيل إنشاء القنوات التي تسمح بزيادة الشفافيّة ومشاركة المواطنين.

ج. الحكومة الإلكترونيّة

إنّ الحكومة الإلكترونيّة والابتكار يمكن أن يوفّرا فرصًا كبيرة لتحويل الإدارة العامّة إلى أداة للتنمية المستدامة. والحكومة الإلكترونيّة هي «استخدام الحكومة لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتطبيقها لتوفير المعلومات والخدمات العامّة للشعب»[1]، وعلى نطاق أوسع، يمكن الإشارة إلى الحكومة الإلكترونيّة بتطبيقها تكنولوجيا المعلومات في الإدارة العامّة لتبسيط وتكامل سير العمل والعمليّات، وإدارة البيانات والمعلومات بشكل فعّال، وتعزيز تقديم الخدمات العامّة، فضلًا عن توسيع قنوات الاتّصال لإشراك النّاس وتمكينهم. وما تزال الحكومة الإلكترونيّة تشمل التفاعلات الإلكترونيّة، أي بين الحكومة والحَوْكَمة، وبين الحكومة والشّركات، وبين الحكومة والمواطن، في حين يتشكّل نهج أكثر شمولًا ومتعدّد الأطراف[2]. ولا بدّ من الاعتماد على رسم سياسة منهجيّة ووضع

(1) لا اسم: **الأجندة الرقمية العربية والاستراتيجية العربية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات**، موقع **الأمم المتحدة** الإلكتروني، برنامج تعزيز التعاون الرقمي والتنمية الرقمية في البلدان العربية ـ الإسكوا، ص 9. على الرابط:

https://www.unescwa.org/sites/default/files/event/materials/01-arabictstrategy_proposedstructure_v0.pdf

(2) زكي حسين الوردي ومجبل لازم المالكي: **مصادر المعلومات وخدمات المستفيدين في المؤسسات المعلوماتية**، مرجع سابق، ص 123.

خطط مدروسة فضلًا عن منهجيّة الحكومة في الإدارة الإلكترونيّة منها:

1. نهج الحكومة الشّاملة

إنّ التعقيد المتزايد والترابط بين تحديّات التنمية المستدامة الحالية يتطلّب استجابات شاملة تستند إلى سياسات متماسكة وعمليّات صنع قرار تعاونيّة، وهو ما يتطلّب بدوره تحويل الإدارة العامّة من خلال اعتماد نهج الحكومة الشّاملة والحوكمة التعاونيّة. ويمكن تعريف الحكومة الشّاملة على أنّها مفهوم سياسيّ تعمل فيه الوكالات عبر حدود المحافظ لتحقيق استجابات متكاملة بشكل مشترك لقضايا تطوير السّياسات وإدارة البرامج وتقديم الخدمات، في حين تشير الحَوكمة التعاونيّة إلى عمليّة حكم قائمة على التعاون بين أصحاب المصلحة الحكوميّين وغير الحكوميّين[1].

تعمل مؤسسة «ليبري» في تنفيذ نهج متكامل للتنمية المستدامة من خلال النهج الحكوميّ الشّامل والحوكمة التعاونيّة؛ وتعزيز الفرص وحلّ تحديّات تصميم وتنفيذ نهج حكوميّ شامل لتقديم الخدمات؛ وتمكين العوامل والاستراتيجيات اللازمة لتحويل الحكومة من خلال نهج حكوميّ شامل، بما في ذلك التشغيل البينيّ وأمن المعلومات.

2. نهج متعدّد القنوات

إنّ تقديم الخدمات عبر قنوات متعدّدة هو تقديم الخدمات العامّة من خلال وسائل مختلفة بطريقة متكاملة ومنسّقة. وتمتد القنوات من نقاط الاتّصال التقليديّة بالمواطنين مثل خدمات العدّاد والصوت، إلى الوسائل عبر الإنترنت مثل الوصول إلى الإنترنت من خلال أجهزة الكمبيوتر الشخصيّة والهواتف المحمولة والأجهزة اللوحيّة، وإلى الوسائط الناشئة مثل التطبيقات المحمولة ووسائل التواصل الاجتماعيّ. ويمكن لقناة ما أن تغيّر تصوّر المستخدم وثقته في الخدمة العامّة. على سبيل المثال، في

(1) لا اسم: **تقدم وتحديات هائلة على مسار تحقيق أهداف التنمية المستدامة للجميع**، موقع **الأمم المتحدة** الإلكتروني، 2023، على الرابط: https: / /www.un.org /ar /desa /sdgs_report_2018_launch

سياق اقتراح القيمة للخدمة العامّة، يمكن لقناة ما أن تضيف قيمة من خلال تجربة مستخدم إيجابيّة، وفي السياق نفسه، يمكن أن تطرح قيمة من خلال تجربة مستخدم سلبيّة. لذلك، من المهمّ للغاية اختيار القناة المناسبة للخدمة المناسبة التي تستهدف الجمهور المحدّد. وفي الوقت نفسه، يعدّ اختيار القناة عاملًا حاسمًا للوصول بفعاليّة إلى مجموعات محدّدة من المواطنين، على سبيل المثال، سكان الريف الذين لديهم وصول محدود إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات[1].

3. تحسين تقديم الخدمة

يتوفّر العديد من الخدمات العامّة مثل المستندات الشخصيّة والمطالبات الضريبيّة وتسجيل الشّركات أو ضريبة القيمة المضافة عبر الإنترنت، ولكن هذا ليس هو الحال دائمًا عبر الحدود. ومثل الخدمات الرقميّة في القطاع الخاص، تشكّل الخدمات العامّة الرقميّة عبر الحدود اللبنات الأساسيّة لسوق رقمية واحدة حقيقية[2]. إنّ المشاركة الإلكترونيّة تعمل على توسيع مجموعة الأدوات التي تمتلكها الحكومة للتواصل مع شعبها والتفاعل معه. وهي لا تحلّ محلّ الأشكال التقليديّة للمشاركة العامّة، سواء من خلال الاجتماعات المباشرة، أم الاتّصالات الورقيّة، أم المكالمات الهاتفيّة، أم لوحات الإعلانات الماديّة، وغير ذلك من الوسائل غير المتّصلة بالإنترنت.

كما يوفر استخدام الأدوات الإلكترونيّة في المشتريات العامّة مجموعة من الفوائد المهمّة مثل التوفير الكبير لجميع الأطراف، والعمليّات المبسّطة والمختصرة، والحدّ من البيروقراطيّة والأعباء الإداريّة، وزيادة الشفافيّة، والابتكار الأكبر، وفرص العمل

(1) لا اسم: **مسح الحكومة الإلكترونيّة ـ2022 مستقبل الحكومة الرقمية**، الأمم المتحدة، دائرة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية، موقع **الأمم المتحدة** الإلكتروني، على الرابط:
https://desapublications.un.org/sites/default/files/publications/202302-/UN%20E-Government%20Survey%20202220%%E220%93%80%Arabic%20Web%20Version.pdf

(2) Isaac Kofi Mensah and Guohua Zeng،and Chuanyong Luo**.: E-Government Services Adoption: An Extension of the Unified Model of Electronic Government Adoption**. Previous reference، p ،147.

الجديدة من خلال تحسين قدرة الشّركات، بما في ذلك الشّركات الصغيرة والمتوسطة الحجم، على الوصول إلى أسواق المشتريات العامّة[1].

4. بيانات الحكومة المفتوحة

من الأدوات المستخدمة لزيادة الشفافيّة والمشاركة البيانات الحكوميّة المفتوحة، والتي يمكن تعريفها بأنّها المعلومات الحكوميّة التي يكشف عنها بشكل استباقيّ وإتاحتها عبر الإنترنت ليتمكّن الجميع من الوصول إليها وإعادة استخدامها وإعادة توزيعها من دون قيود. وهي تقدم نهجًا جديدًا لنشر البيانات الحكوميّة وتساعد في سدّ الفجوة بين الحكومة والمواطنين. كما أنّها تمثّل قدرة أصحاب المصلحة على الوصول الكامل والمجّانيّ إلى البيانات العامّة وتفتح الفرصة أمام النّاس لتقويم أداء المؤسّسات الإداريّة المختلفة.

تعتمد فائدة المعلومات وجودتها وإمكان الوصول إليها على التنسيق المستخدم لنشر البيانات. وتتطلّب معالجة البيانات وتحليلها من خلال برامج الكمبيوتر معايير مفتوحة وتنسيقات ملفات مفتوحة لاستكشاف البيانات وفرزها وتصفيتها وإعادة تجميعها. وتسمح معايير البيانات الفنّيّة لصانعي السّياسات بمقارنة مجموعات البيانات وإنشاء البيانات ذات الصلة. لذلك؛ عندما تصبح البيانات أكثر سهولة في الوصول إليها، يمكن لعدد أكبر من الأشخاص المشاركة والإفادة من تحليل البيانات، والذي بدوره يمكن أن يسهم في تحسين عمليّة صنع السّياسات[2]. ويهدف أحد المحاور الاستراتيجيّة للحكومة العراقيّة إلى تعزيز الحكومة الإلكترونيّة وتمكين التحوّل إلى الحكومة الرقميّة، وهو مفهوم يشير إلى استخدام التكنولوجيات في إطار استراتيجيّات تحديث

(1) Abdulrazaq Kayode Abdulkareem and Razlini Mohd Ramli: **Evaluating the Performance of E-government: Does Citizens' Access to ICT Matter?** Pertanika Journal of Social Sciences and Humanities، September 2021، 29(3)، DOI:10.47836/pjssh.29.3.03، on: https://www.researchgate.net/publication/354895342_Evaluating_the_Performance_of_E-government_Does_Citizens'_Access_to_ICT_Matter، p 166.

(2) Afrizal، D.، & Wallang، M.: **Attitude on intention to use e-government in Indonesia**، Indonesian Journal of Electrical Engineering and Computer Science، Previous reference، p 436.

الدّولة بهدف خلق قيمة مضافة حقيقية للمواطنين والشّركات والإدارات العامّة. وتندرج استراتيجية «الحوكمة الإلكترونيّة 2021ـ2025» في إطار هذا النهج من خلال تحديد العناصر الأساسيّة لتحوّل رقميّ ناجح للدولة بهدف ضمان خدمات رقميّة عالية الجودة للمواطنين والانتقال التدريجيّ إلى حكومة رقميّة كما أوصت الهيئات الدوليّة[1].

5. خدمات عامّة عبر الإنترنت عالية الجودة

تسلّط استراتيجية 2021ـ2025 الضوء على المبادئ التي يجب مراعاتها في أثناء رقمنة الخدمات العامّة من أجل تقديم الخدمات العامّة للمواطنين والشّركات التي تلبّي احتياجاتهم. ويتضمّن ذلك تعزيز الوصول الرقميّ الشّامل، وتطوير خدمات تركّز على المستخدم، وتقديم خدمات عامّة جذّابة عبر الإنترنت، والاستثمار في ثقة المواطنين في الخدمات الحكوميّة عبر الإنترنت.

6. إدارة رقمية خالصة

تقوم الإستراتيجية بعد ذلك بتحليل الشروط الأساسيّة للإدارة العامّة المركزية لتمكينها من الاستجابة بفعاليّة لاحتياجات المجتمع. فالأهداف الأساسيّة في السّياق الرقميّ هي تسهيل الانتقال إلى إدارة فعّالة خالية من الورق والحصول على بيئة تكنولوجيا المعلومات مؤاتية لطرائق العمل الجديدة. علاوة على ذلك، تؤكد الاستراتيجية على أهميّة القدرة على الاعتماد على شريك مركزيّ لتكنولوجيا المعلومات يتمتع بالكفاءة والرشاقة والموثوقيّة. ولتحقيق هذه الغاية، يهدف المركز إلى تعزيز خدماته الرقميّة وتطوير البنى التحتية المتطوّرة وضمان مستويات عالية جدًّا من الأمان والموثوقيّة[2].

(1) María-Dolores Guillamón and Ana-María Ríos.: **The Impact of Mayors' Corruption on Spanish Municipal Spending. Revista de Contabilidad-Spanish Accounting Review، REVISTA DE CONTABILIDAD SPANISH ACCOUNTING REVIEW**، Francisco Bastida، 252022-1-. p 109.

(2) Ali، M.، Raza، S. A.، Puah، C. H.، & Arsalan، T.: **Does e-Government Control Corruption? Evidence from South Asian Countries?.** Journal of Financial Crime، 29، (2021)، 258271-. P 266، on: https://doi.org/10.1108/JFC-010003-2021-.

ثالثًا. أهميّة الحكومة الإلكترونيّة في تطوير الأداء الحكوميّ والتحديّات التي تواجهها

إنّ استخدام الحكومة الإلكترونيّة يضمن التنفيذ الناجح للأهداف الآتية:

- **إعـادة بناء العلاقة بين الحكومة والعملاء**: يمكن للحكومات استخدام التكنولوجيا الجديدة لمعاملة المواطنين الأفراد وتقديم خدمات شخصيّة.
- **إنشاء شكل أكثر مشاركة للحكومة**: يمكن للحكومة الإلكترونيّة أن تؤدّي إلى تحقيق الديمقراطيّة المباشرة.
- **تعزيز التنمية الاقتصادية**: يمكن للحكومات أن تساعد الشّركات في تحسين أدائها ومساعدتها في استخدام الأدوات عبر الإنترنت.
- **سدّ الفجوة الرقميّة**: من خلال إتاحة الوصول إلى التكنولوجيا الجديدة للأشخاص الأقلّ حظًّا في المجتمع[1].
- **تحقيق التعلّم مدى الحياة**: يمكن إنجازه من خلال خدمات التعلّم الإلكترونيّ.
- **تقديم الخدمات العامّة الإلكترونيّة والمتكاملة**: يمكن للمواطنين والشّركات إكمال جميع العمليّات من خلال نقطة وصول واحدة.

بعد أن بيّنا دور الحكومة الإلكترونيّة وأثرها ودورها على الأداء الحكوميّ؛ في المقابل قد لا تخلو من تحدّيات. لذلك يتعيّن على تخطيط وتنفيذ الحكومة الإلكترونيّة أن يركزا على إيجاد أساليب للتعامل مع التحديّات المتنوعة. ويمكن عدّ هذه التحديّات شروطًا محددة مسبقًا، ويمكن السّيطرة على هذه التحديّات عند توفير بعض الوسائل المهمّة منها :

- **إنشاء البنية الأساسيّة لتكنولوجيا المعلومات والاتّصالات**: من الضروريّ دعم جوانب تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات كافّة، بما في ذلك أجهزة الكمبيوتر والإنترنت، والهاتف الخلوي والاتّصالات عبر الأقمار الصناعية، وما إلى

(1) Kuhlmann، S.، & Heuberger، M.: **Digital transformation goes local: implementation، impacts and constraints from a German perspective**، Previous reference، p147.

ذلك. كما أنّ التعليم سيكون جانبًا حاسمًا في تعزيز تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل تبني الحكومة الإلكترونيّة بنجاح[1].

- **رأس المال البشريّ**: يتطلّب تطوير تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات والحكومة الإلكترونيّة مزيجًا من المعرفة الفنيّة والتجاريّة والإداريّة. على سبيل المثال، يمكن أن يعزى الافتقار إلى الأشخاص المدرّبين والمؤهّلين في الدول الناميّة إلى هجرتهم إلى دول أخرى.
- **الاستراتيجيّة**: من الضروريّ وضع استراتيجيّة مناسبة تأخذ بالحسبان البيئة والسياق المحليَّيْن. كما يجب أن تكون الإستراتيجيّة بعيدة المدى وشاملة. وهذا يستلزم وجود أطر سياسيّة وتنظيميّة وقانونيّة مناسبة ومرونة.
- **بيئة سياسيّة داعمة**: يجب أن تعالج السّياسة أيضًا القضايا القانونيّة مثل حماية البيانات والمعلومات والتجارة الإلكترونيّة والرقابة وحرية التعبير، فضلًا عن القضايا الدوليّة مثل اللوائح عبر الحدود وقضايا حقوق النشر والملكيّة الفكريّة.
- **إدارة التغيير**: يمكن أن تكون إدارة التغيير مشكلة في القطاع العام، بخاصّة في إطار البيروقراطيّات الراسخة والعمليّات الإداريّة والسّياسيّة[2].

يتطلّب معالجة هذا التحدّي توفير المحفّزات للمنظّمات والأفراد من أجل مشاركة أفضل. على سبيل المثال، في بلد مثل الولايات المتّحدة الأمريكيّة لم تكن أكبر المخاوف بالنسبة إلى مديري الحكومة الإلكترونيّة في الأيام الأولى قضايا تقنيّة، بل قضايا سياسيّة؛ مثل التنسيق والتعاون بين قادة الوكالات، والتواصل من أجل فهم أفضل للعلاقات المتبادلة بين مشاريع الحكومة الإلكترونيّة المختلفة[3].

(1) Ahmad Salih Alnaser and Khaled Alshake Theep.: **Do E-Government Services Affect Jordanian Customer Loyalty?** Marketing and Management of Innovations، January 2022، 2(1):1730-DOI:10.21272/mmi.2022.202-، p 325.

(2) Minbaleev، AV، & Evsikov، KS: **Anti-Corruption Information Technologies**. Journal of Siberian Federal University - Humanities and Social Sciences، Previous reference، p 136.

(3) Maha Farooq Ezzat Al-rubaye: **Administrative Corruption: Causes And Solutions Special Reference To Iraq**، Previous reference، p 124.

أ. العلاقة بين الحكومة والمواطن

هناك عدد من المعاييرالتي تحكم العلاقة بين الحكومة والمواطنين:

- غالبًا ما يُنظر إلى الحكومة على أنّها غير كافية في تلبية احتياجات المواطنين. ومع ذلك؛ ليس لدى المواطنين بديل للتعامل مع الحكومة.
- يمكن تحسين جودة عمليّة صنع القرار في القطاع العام من خلال التفاعل المستمرّ بين الحكومة ومواطنيها.
- من خلال المشاركة الفعّالة في المناقشات الحكوميّة والسّياسيّة، يمكن للمواطنين تقديم ردود فعل تخدم مصالحهم.
- الحكومة الإلكترونيّة هي إحدى الطرائق لتحسين شكل هذه العلاقة. ويمكن القيام بذلك عندما تبدأ الحكومة في اتّخاذ وجهة نظر أكثر توجّهًا نحو العملاء، ويعدّ المواطنين عملاء، وتبني قيم رضا المستهلك.
- تقع الحكومة المغلقة أو المعزولة في الطرف الآخر، ولا يمكنها تلبية احتياجات المواطنين.

إن المواطنين مهتمون جدًا بالحكومة الإلكترونيّة، لكنهم يفضلون الاهتمام بشكل أفضل بمخاوفهم المتعلّقة بالأمن والخصوصيّة قبل الاستثمار في المزيد من تطوير الخدمات. كما يريدون أن تساعدهم الحكومة الإلكترونيّة في أن يصبحوا أكثر اطّلاعًا، ويريدون منها أن تجعل الحكومة أكثر مسؤولية من خلال جعل العمليّات والقرارات أكثر انفتاحًا وشفافيّة[1].

ب. القضايا التي تنشأ عند تنفيذ الحكومة الإلكترونيّة في العراق

في حين أن تبنّي الحكومة الإلكترونيّة يحمل العديد من المزايا، هو يؤدي أيضًا إلى عدد من القضايا:

(1) María-Dolores Guillamón and Ana-María Ríos.: **The Impact of Mayors' Corruption on Spanish Municipal Spending. Revista de Contabilidad-Spanish Accounting Review**، Previous reference، P 120.

- **الخصوصيّة والأمان:** يشير الأمان عمومًا إلى حماية أصول أنظمة المعلومات والتحكّم في الوصول إلى المعلومات نفسها بينما تشير الخصوصيّة عمومًا إلى احترام الحقّ في إسناد المعلومات إلى فرد يُتعامل معه بمستوى مناسب من الحماية. إنّ تبنّي تدابير واضحة وفعّالة لأمن البيانات وحماية الخصوصيّة مهمّة بالغة الأهميّة ولا غنى عنها. ومن شأن مثل هذه التدابير أن تمنع الأطراف غير المصرّح لها من الوصول إلى المعلومات الآمنة والخاصّة.
- **إدارة المعلومات:** مع ظهور الحكومة الإلكترونيّة، أصبحت إدارة المحتوى واجبًا مهمًّا. وهذه الإدارة ضروريّة لضمان إدارة موارد المعلومات والمعرفة والمهارات بشكل سليم وفعّال[1].
- **مشاركة المواطنين:** عندما تتبنّى الحكومة مشروعًا مثل الحكومة الإلكترونيّة، ينبغي أيضًا النظر في المشاركة الإلكترونيّة من جانب المواطنين. وهذا من شأنه أن يساعد في تعزيز الحكومة وتحسين أهمّية العمليّات والخدمات الحكوميّة وجودتها.

ج. التواصل داخل الحكومة

يجب أن يكون تكامل وحدات الحكومة نحو تكامل العمليّات وتقديم الخدمات هو هدف الحكومة الإلكترونيّة والفجوة الرقميّة. والفجوة التي تنشأ بين ما تمتلكه التكنولوجيا وما يمتلكه النّاس. إنّ تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات والحكومة الإلكترونيّة تشكّلان أحد السبل الأساسيّة التي يمكن من خلالها للحكومات تعزيز الإدارة العامّة للقطاع العام وتعزيز الطرائق التي تعزّز الحكومة. كما تمثلان مقدمة لموجة كبيرة من الإبداعات التكنولوجيّة[2].

(1) Sussy Bayona-Ore، Vicente Morales Lozada،: **E-government and E-services in Local Government: a Case Study، WSEAS TRANSACTIONS ON ENVIRONMENT AND DEVELOPMENT**، 2021، 17، p 325.

(2) محمد بن أحمد السديري: **مفاتيح النجاح في تطبيق الحكومة الإلكترونيّة**، مرجع سابق، ص 210.

يمكن تلخيص فوائد استخدام قدرات تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات على النحو الآتي:

- توفّر تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات أدوات قوية يمكن استخدامها للتغلّب على بعض الحواجز الأساسيّة للتنمية الأساسيّة، والتنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة المستدامة، والدّخول في الأنظمة العالميّة.
- إنّ العلاقة الإيجابيّة بين الاستثمار في تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات ونمو الناتج المحلّي الإجمالي، وتظهر أهمية الاستثمار في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل التنمية في كلّ من القطاعين العام والتجاري[1].

د. نموذج تطوير الحكومة الإلكترونيّة

يُدرس تطوير الحكومة الإلكترونيّة من خلال بناء نماذج لمراحلها. وتقدم الأدبيّات عددًا من نماذج التطوير. ويمكن وصفها عمليّة تطوّرية، تبدأ بالتواجد الأساسيّ على شبكة الإنترنت وتنتقل إلى عدد من المستويات[2]. ويتطلّب إنشاء خدمات المعاملات الحقيقية أو «التكامل الرأسيّ» تدخّلًا كبيرًا في أنظمة المكاتب الخلفيّة والتفاوض عبر منظّمات وسلطات قضائيّة مختلفة.

تتكون هذه المستويات عادةً من أربع مراحل:

- **التواجد الأساسي على شبكة الإنترنت:** تتميّز هذه المرحلة بالوجود على شبكة الإنترنت. وخلال هذه المرحلة، تكون مواقع الإنترنت ثابتة إلى حدّ ما بطبيعتها ولا تهدف إلا إلى توفير المعلومات العامّة. ويمكن أن تتضمن المعلومات المنشورة عبر الإنترنت القوانين واللوائح والسّياسات والميزانيات والآراء القضائيّة والمنشورات والتقارير الرسميّة والنماذج والقرارات التنفيذيّة

(1) المرجع نفسه، ص 211.

(2) محمد محمد الهادي: **الحكومة الإلكترونيّة وسيلة للتنمية والإصلاح الإداري**، مرجع سابق، ص 15.

ومجموعة واسعة من النصائح والمعلومات الحكوميّة حول أمور مثل الصحة والـزراعـة. كما يمكن أن تتضمن أيضًا أدلّـة الحكومة والهياكل التنظيميّة ومعلومات الاتصال[1].

- **التفاعل**: تتميّز هذه المرحلة بتفاعلات أسرع باستخدام القنوات الإلكترونيّة لبعض أجزاء الخدمة أو المعاملة. في معظم الحالات، تمكّن هذه المرحلة الجمهور من الوصول إلى المعلومات المهمّة عبر الإنترنت، ولكنها تتطلّب زيارة مكتب حكوميّ لإكمال المهمّة. قد يتمكّن المواطنون والشّركات من التعليق على اللوائح المقترحة أو تقديم شكاوى الفساد عبر رسائل البريد الإلكترونيّ وإنشاء نماذج قابلة للتنزيل وإرسـال النماذج والمعلومات والبحث في قواعد البيانات المتخصّصة المختلفة. يجري تحديث المعلومات والمحتوى بانتظام. وتتضمن أدوات التفاعل البريد الإلكترونيّ، والنماذج المستندة إلى الويب، وغرف الدردشة، والمنتديات على الويب، ولوحات الإعلانات، وقوائم الخدمة، وجلسات الأسئلة والأجوبة عبر الإنترنت مع المسؤولين الحكوميّين[2].
- **المعاملة**: تتضمن مرحلة «المعاملة» في الحكومة الإلكترونيّة تبادلًا للمعلومات ـ أحيانًا الأموال ـ بين الحكومة والمواطنين أو الشّركات من خلال عمليات الخدمة الذاتيّة عبر الإنترنت خطوة بخطوة. ويتمكّن المواطنون من تقديم الإقرارات الضريبيّة، والحصول على التأشيرات وجوازات السّفر، وسجلات الميلاد والوفاة، والرُّخَص والتصاريح، ودفع غرامات وقوف السيارات وفواتير المرافق، والتقدّم لوظائف حكوميّة.

(1) Koraljka Golub and Arwid Lund،:**Why Open Government Data? The Case of a Swedish Municipality**، Sciendo Magazine، Journal of Data and Information Science، Volume 6 (2021): Issue 1 (February 2021)، Jan 27، 2021. p 69.

(2) علاء عبد الرزاق السالمي: **أساسيّات نظم المعلومات الإدارية**، مرجع سابق، ص 203.

- **التكامل أو التحوّل**: تتميّز المرحلة الرابعة بإعادة تعريف العلاقات بين الحكومة والمواطنين والشّركات؛ حيث يتمكّن المواطنون والشّركات والمجتمعات والموظفون الذين يقدمون تجارب سلسة ومستويات غنية من المشاركة المستمدة من الاتّصال الجديد والعمليّات المتداخلة ونماذج الأعمال للخدمة وتصميم السّياسات وتطويرها[1].

الخاتمة

بناءً على الهدف المحدّد في البحث؛ تؤكد النتائج وجود تدخّل للحكومة الإلكترونيّة في الحكومة المركزيّة والمحليّة، وفي الفساد وفي خدمة العملاء، من خلال التأكيد على أنّ الحكومة الإلكترونيّة تعمل على تحسين كفاءة المؤسّسات العامّة لصالح المواطنين ومكافحة الفساد وتعزيز حَوكمة أجهزة الدّولة؛ ويُستخدم أيضًا بشكل متزايد لتحسين شفافيّة الإجراءات الحكوميّة والتواصل مع الجمهور من خلال التعاون الرقميّ.

في الحكومة المركزيّة، الحكومة الإلكترونيّة هي أسلوب لتوجيه تصرّفات الموظّفين العموميّين بطريقة فعّالة ومناسبة، ما يعني جمع الأفكار المتعلّقة بالإدارة لصالح النّاس، وإجراء تغييرات على نظام الدّولة، وتوفير فرص للابتكار وخلق طرق لإبقاء النّاس على اطّلاع مستمرّ، وتلبية توقعّات الكفاءة والجهد والتأثير الاجتماعيّ من خلال تحسين استخدام الخدمات الرقميّة؛ وإحداث تغيير كبير في إدارة الحكومة يأتي الغرض منه في تقديم فوائد مباشرة للمواطنين والموظّفين العموميّين والشّركات والهيئات الحكوميّة الأخرى. وقد أدّت إجراءات الحكومة الإلكترونيّة، في مجال المعلومات والاتّصالات والشفافيّة والمشاركة، إلى سدّ الفجوة الرقميّة بين الحكومة

(1) Hariguna، T.، Ruangkanjanases، A.، & Sarmini.: **Public Behavior as an Output of E-Government Service: The Role of New Technology Integrated in E-Government and Antecedent of Relationship Quality**، Previous reference، p 67.

والمواطنين. ومع ذلك، هناك حاجة ماسّة إلى التدريب الفوري لموظفي الدّولة حتى لا يضعف تطبيق الحكومة الإلكترونيّة وتقديم خدمات جيّدة، وثم من المهمّ للحكومات أن تطبق الحكومة الإلكترونيّة لتحسين خدماتها التي تغيّرت في البيئة الرقميّة بعد جائحة كوفيد19.

في الحكومة المحليّة، تعمل الحكومة الإلكترونيّة على تعزيز مشاركة المواطنين من خلال تمكين المواطنين من الوصول إلى الخدمات والاتصالات والمشاركة في السّياسة وتحقيق الأهداف المحليّة. إنّها أداة مهمّة لتحويل الخدمات العامّة في المجتمع، وتعني تنظيم العمليّات حتى تتمكّن الإدارة العامّة المحليّة من تقديم الخدمات للمواطنين بسرعة وكفاءة؛ تعزيز مشاركة المواطنين من خلال الإنترنت من خلال إزالة الحواجز التقليدية مثل المكان والزمان، وخلق طرائق جديدة للحكومات المحليّة للتفاعل مع المواطنين، وخلق الشفافيّة الفعالة وتوفير فرص جديدة لخدمة المواطنين بطرائق مبتكرة؛ والإشارة إلى الأداء والكفاءة والسّلوك المتوقع من الجمهور في استخدام الخدمات الرقميّة؛ وقد سمحت للسلطات المحليّة بأن تكون استباقية وتعزّز أعمالها ومبادراتها لخدمة السّكان بشكل أفضل.

من ناحية أخرى، ألحق الفساد أضرارًا كبيرة بالحكومة؛ إنه وباء يصيب كلّ المجتمعات، وأصبح في الآونة الأخيرة مشكلة عالميّة تعوّق الاستثمار وتقلّل من جودة الخدمات الأساسيّة التي يتلقاها النّاس؛ ما يؤثر بشكل خطير على النمو الاقتصاديّ والديمقراطيّة، مع عواقب اجتماعيّة خطيرة. لذلك تطبيق الحكومة الإلكترونيّة في مؤسسات الدّولة من شأنه أن يحسّن الكفاءة في تقديم الخدمات الحكوميّة ويمنع الفساد؛ ثم إنّ نهج مكافحة الفساد ينبغي أن يرتكز على التزام القيادة الصادقة والشفافة في مكافحة الفساد؛ حيث يتعيّن على القادة إظهار عدم التسامح مطلقًا.

تعمل الحكومة الإلكترونيّة على تعزيز الإصلاح الوظيفيّ لتحسين كفاءة المعاملات المقدّمة على المواقع الإلكترونيّة؛ ولهذا السّبب أصبحت خدماتها بمثابة

جسر مهمّ بين الحكم ومشاركة المواطنين؛ أدّى دورًا مهمّا في تحديد الفرص وخلق المساحات وتعزيز تطوير الخدمات الجيّدة وخلق معلومات عالية الجودة والشفافيّة والخدمات في الوقت نفسه وسدّ الفجوة الرقميّة بين الحكومة والمجتمع وتحسين جودة معاملات الرعاية من خلال زيادة القدرة على معرفة أين يجب التدخّل، وتاليًا إضفاء الشرعيّة على القرارات السّياسيّة؛ ثم إن جودة الخدمة تجعل المواطنين أكثر مشاركة في الحكومة الإلكترونيّة.

قائمة المصادر والمراجع

أ. المراجع العربية

1. السالمي، علاء عبد الرزاق: **أساسيات نظم المعلومات الادارية**، دار المناهج للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2005.
2. الوردي، زكي حسين؛ المالكي، مجبل لازم: **مصادر المعلومات وخدمات المستفيدين في المؤسسات المعلوماتية**، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان_ الأردن، 2002.
3. يعقوب، محمد محمد الهادي: **الحكومة الإلكترونيّة وسيلة للتنمية والإصلاح الإداري**، البوابة العربية للمكتبات والمعلومات، مصر_ القاهرة، 2006.

ب. الدوريات العربية

1. الرفاعي، سحر قدوري: **الحكومة الالكترونية وسبل تطبيقها: مدخل استراتيجي**، مجلة **اقتصاديات شمال إفريقيا**، العدد السابع، 2020.

ج. مؤتمر

1. السديري، محمد بن أحمد: **مفاتيح النجاح في تطبيق الحكومة الإلكترونيّة**، المؤتمر الوطني السابع عشر للحاسب الآلي، جامعة الملك عبد العزيز،المدينة المنورة، 2004.

د. مراجع باللغة الأجنبية

1. Afrizal، D.، & Wallang، M.: **Attitude on intention to use e-government in Indonesia**، Indonesian Journal of Electrical Engineering and Computer Science، 2021، 22(1).
2. Ahmad Salih Alnaser and Khaled Alshake Theep.: **Do E-Government Services Affect Jordanian Customer Loyalty?** Marketing and

Management of Innovations، January 2022، 2(1):17-30 DOI:10.21272/mmi.2022.2-02.

3. Anupriya Khan and Satish Krishnan and Amandeep Dhi**: Electronic government and corruption**، Previous reference.
4. Homburg، V.، & Moody، R.: **Citizens' social media adoption in Paraguay**، BRAZILIAN JOURNAL OF PUBLIC ADMINISTRATION | Rio de Janeiro 55(5): 1077-1100، Sept. - Oct. 2021.
5. Koraljka Golub and Arwid Lund،:**Why Open Government Data? The Case of a Swedish Municipality**، Sciendo Magazine، Journal of Data and Information Science، Volume 6 (2021): Issue 1 (February 2021)، Jan 27، 2021.
6. Kuhlmann، S.، & Heuberger، M.: **Digital transformation goes local: implementation، impacts and constraints from a German perspective.** Previous reference.
7. María-Dolores Guillamón and Ana-María Ríos.: **The Impact of Mayors' Corruption on Spanish Municipal Spending. Revista de Contabilidad-Spanish Accounting Review، REVISTA DE CONTABILIDAD SPANISH ACCOUNTING REVIEW**، Francisco Bastida، 25-1-2022.
8. Minbaleev، AV، & Evsikov، KS: **Anti-Corruption Information Technologies**. Journal of Siberian Federal University - Humanities and Social Sciences، Previous reference.
9. Sussy Bayona-Ore، Vicente Morales Lozada،: **E-government and E-services in Local Government: a Case Study، WSEAS TRANSACTIONS ON ENVIRONMENT AND DEVELOPMENT**، 2021، 17.

هـ. مواقع إلكترونية

1. لا اسم: **الأجندة الرقمية العربية والاستراتيجية العربية لتكنولوجيا المعلومات**

والاتصالات، موقع **الأمم المتحدة** الإلكتروني، برنامج تعزيز التعاون الرقمي والتنمية الرقمية في البلدان العربية ـ الإسكوا، على الرابط:

https://www.unescwa.org/sites/default/files/event/materials/01-arabictstrategy_proposedstructure_v0.pdf

2. لا اسم: **تقدم وتحديات هائلة على مسار تحقيق أهداف التنمية المستدامة للجميع**، موقع **الأمم المتحدة** الإلكتروني، 2023، على الرابط:

https://www.un.org/ar/desa/sdgs-report-2018-launch

3. لا اسم: **مسح الحكومة الإلكترونيّة ـ2022 مستقبل الحكومة الرقمية**، الأمم المتحدة، دائـرة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية، موقع **الأمـم المتحدة** الإلكتروني، على الرابط:

https://desapublications.un.org/sites/default/files/publications/2023-02/UN%20E-Government%20Survey%202022%20%E2%80%93%20Arabic%20Web%20Version.pdf.

1. Abdulrazaq Kayode Abdulkareem and Razlini Mohd Ramli: **Evaluating the Performance of E-government: Does Citizens' Access to ICT Matter?** Pertanika Journal of Social Sciences and Humanities، September 2021، 29(3)، DOI:10.47836/pjssh.29.3.03، on: https://www.researchgate.net/publication/354895342_Evaluating_the_Performance_of_E-government_Does_Citizens'_Access_to_ICT_Matter.

2. Aleksey V. Minbaleev andKirill S. Evsikov: **Anti-Corruption Information Technologies**، November 2021، Journal of Siberian Federal University Humanities & Social Sciences 14(11):1674-1689، On: https://www.researchgate.net/publication/367820560_Anti_Corruption_Informatin_Technologies.

3. Ali، M.، Raza، S. A.، Puah، C. H.، & Arsalan، T.: **Does e-Government Control Corruption? Evidence from South Asian Countries?.**

Journal of Financial Crime، 29، (2021)، 258-271. P 266، on: https://doi.org/10.1108/JFC-01-2021-0003.

4. Anupriya Khan and Satish Krishnan and Amandeep;Dhi; **Electronic government and corruption: Systematic literature review، framework، and agenda for future research**، June 2021، 120737، on: https://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0040162521001694

5. Hariguna، T.، Ruangkanjanases، A.، & Sarmini.: **Public Behavior as an Output of E-Government Service: The Role of New Technology Integrated in E-Government and Antecedent of Relationship Quality Annual Achievements ReportSustainability**، 2021، 13(13)، 7464; On: https://doi.org/10.3390/su13137464.

6. Isaac Kofi Mensah and Guohua Zeng،and Chuanyong Luo.**: E-Government Services Adoption: An Extension of the Unified Model of Electronic Government Adoption**. June 10، 2020، P 142. On: https://doi.org/10.1177/21582440209335.

7. Kuhlmann، S.، & Heuberger، M.: **Digital transformation going local: implementation، impacts and constraints from a German perspective** PUBLIC MONEY & MANAGEMENT، 2023، VOL. 43، NO. 2، 147-155، p 148، on: https://doi.org/10.1080/09540962.2021.1939584.

8. Maha Farooq Ezzat Al-rubaye: **Administrative Corruption: Causes And Solutions Special Reference To Iraq**، International Journal of Professional Business Review، International Journal of Professional Business Review، 7 No. 5 (2022)، on: https://doi.org/10.26668/businessreview/2022.v7i5.e1015.

25. Spivak, G. C. (1985). *Three Women's Texts and a Critique of Imperialism*. *Critical Inquiry, 12*(1), 243-261.

26. Todorov, T. (2007). *La littérature en péril*. Paris: Flammarion.

27. Wellek, R., & Warren, A. (1949). *Theory of Literature*. New York : Harcourt, Brace and Company.

28. Zima, P. V. (1985). *La sociologie de la littérature*. Paris : Presses Universitaires de France.

29. Zima, P. V. (1991). *Sociocritique et esthétique littéraire*. Paris : Presses Universitaires de France.

30. Zima, P. V. (1985). *La sociocritique*. Paris : Presses Universitaires de France.

6. Barthes, R. (1977). *La mort de l'auteur*. Dans *Image-Music-Text* (pp. 142-148). New York: Hill and Wang.
7. Barthes, R. (1984). *Le Bruissement de la langue*. Paris: Seuil.
8. Blanchot, M. (1955). *L'Espace littéraire*. Paris : Gallimard.
9. Bourdieu, P. (1996). *Les règles de l'art : Genèse et structure du champ littéraire*. Paris: Seuil.
10. Derrida, J. (1967). *L'Écriture et la différence*. Paris: Seuil.
11. Duchet, C. (1971). *Anthropologie et histoire littéraire*. Paris: Maspero.
12. Eco, U. (1965). *L'Œuvre ouverte*. Paris : Seuil.
13. Eco, U. (1992). *Interprétation et surinterprétation*. Paris: PUF.
14. Freud, S. (1900). *L'interprétation des rêves*. Paris: PUF.
15. Genette, G. (1972). *Figures III*. Paris : Seuil.
16. Goldmann, L. (1964). *Pour une sociologie du roman*. Paris: Gallimard.
17. Jameson, F. (1981). *The Political Unconscious: Narrative as a Socially Symbolic Act*. Ithaca: Cornell University Press.
18. Kristeva, J. (1969). *Séméiôtikè : recherches pour une sémanalyse*. Paris: Seuil.
19. Lacan, J. (1966). *Écrits*. Paris : Seuil.
20. Poulet, G. (à préciser). *La conscience critique*. Paris : Seuil.
21. Ricoeur, P. (1983). *Temps et récit*. Paris: Seuil.
22. Sartre, J.-P. (1948). *Qu'est-ce que la littérature ?*. Paris: Gallimard.
23. Said, E. (1978). *Orientalism*. New York: Pantheon Books.
24. Showalter, E. (1979). *A Literature of Their Own: British Women Novelists from Brontë to Lessing*. Princeton: Princeton University Press.

RÉFÉRENCES BIBLIOGRAPHIQUES

A. Romans

1. Alighieri, D. (1321). *La Divine Comédie*. Paris: Flammarion (éd. 2021).
2. Balzac, H. (1842-1850). *La Comédie humaine*. Paris: Gallimard.
3. Beckett, S. (1952). *En attendant Godot*. Paris: Minuit.
4. Camus, A. (1942). *L'Étranger*. Paris : Gallimard.
5. Dostoïevski, F. (1872). *Les Démons*. Paris : Gallimard (éd. 2000).
6. Ernaux, A. (2008). *Les Années*. Paris : Gallimard.
7. Flaubert, G. (1857). *Madame Bovary*. Paris: Michel Lévy frères.
8. Hugo, V. (1862). *Les Misérables*. Paris : A. Lacroix, Verboeckhoven & Cie.
9. Joyce, J. (1939). *Finnegans Wake*. Paris: Gallimard.
10. Morrison, T. (1987). *Beloved*. New York: Knopf.
11. Proust, M. (1913-1927). *À la recherche du temps perdu*. Paris: Gallimard.
12. Stendhal. (1830). *Le Rouge et le Noir*. Paris: Levavasseur.
13. Zola, É. (1885). *Germinal*. Paris: Charpentier.

B. Ouvrages critiques

1. Bakhtine, M. (1978). *Esthétique et théorie du roman*. Paris: Gallimard.
2. Barberis, P. (1994). *La théorie des trois histoires*. Paris: L'Harmattan.
3. Barthes, R. (1953). *Le degré zéro de l'écriture*. Paris: Seuil.
4. Barthes, R. (1970). *S/Z*. Paris: Seuil.
5. Barthes, R. (1973). *Le plaisir du texte*. Paris: Seuil.

qui est à la fois social et individuel. La littérature, c'est un pont entre le personnel et le collectif. Elle allie subjectivité et échos sociaux. Ce n'est pas juste un reflet des structures sociales, mais aussi un terrain créatif où se rencontrent la réalité et l'imaginaire. En regardant de plus près les pensées de Proust, Sartre, Flaubert, Ernaux et Zima, on voit bien que l'écrivain navigue entre l'expression artistique et la responsabilité vis-à-vis de la société. Cette tension nourrit une littérature qui questionne et a le potentiel de transformer le monde qui l'entoure. Cependant, avec les changements qu'on observe aujourd'hui, deux grandes questions émergent. D'abord, est-ce que la littérature contemporaine, dans ce monde de plus en plus globalisé, peut encore saisir l'essence des réalités sociales tout en gardant sa touche unique? Et puis, à l'ère des technologies de pointe et de l'intelligence artificielle, l'écrivain peut-il vraiment rester un témoin pertinent de son époque, ou va-t-il se retrouver éclipsé par de nouvelles formes de création et de représentation? Ces réflexions ouvrent un véritable débat sur le rôle de l'écrivain dans un monde qui évolue sans cesse.

Cette indétermination du sens se retrouve aussi dans les mouvements modernistes et postmodernistes, tout comme *Finnegans Wake* de James Joyce. Publié en 1939, son langage est si multilingue et fragmenté qu'il est impossible de l'interpréter d'une seule manière. Il remet en question l'idée même d'une signification unique. De la même manière, dans le théâtre de Samuel Beckett, surtout dans *En attendant Godot* (1952), le langage est rompu, et c'est le vide et l'absurde qui deviennent les fondements de la signification. Maurice Blanchot le dit bien: «La littérature moderne ne parle plus, elle suggère; elle ne signifie rien, elle questionne» (L'Espace littéraire, 1955, p. 74).

Mais, les interprétations ne se limitent pas aux mouvements politiques qui émergent au XXe siècle. Elles se retrouvent aussi dans des œuvres réalistes où le lecteur joue un rôle clé dans la construction du sens. Prenons *Madame Bovary* (1857) de Flaubert. Emma, c'est une héroïne romantique désillusionnée, mais le texte ne donne pas de réponse claire sur la manière de l'interpréter, que ce soit avec empathie ou ironie. Cette ambiguïté est ce qui crée tant de réceptions différentes du roman. Emma peut être vue comme une critique de la société moderne, ou simplement comme une tragédie intime, illustrant à quel point la littérature peut échapper à des catégories rigides.

Les œuvres littéraires, avec toutes leurs ambiguïtés, rendent difficile de donner une interprétation unique. Jacques Derrida l'a bien formulé: «lire, c'est toujours réécrire ; c'est toujours produire du sens nouveau à partir d'un texte qui se dérobe à toute saisie définitive» (L'Écriture et la différence, 1967, p. 88). Chaque texte, en adoptant une approche herméneutique, ouvre la porte à de nombreuses significations, ce qui montre l'impact inépuisable de la littérature.

CONCLUSION: UNE DIALECTIQUE OUVERTE ENTRE LITTÉRATURE ET SOCIÉTÉ

En définitive, les approches sociocritiques, voire plus personnelles, viennent enrichir la thématique: elles permettent d'envisager l'œuvre dans toute sa complexité. Il est temps donc de rassembler ces idées, afin de mieux comprendre comment l'écrivain et son œuvre s'inscrivent dans un contexte

L'exemple d'Annie Ernaux dans *Les Années* m'aide à renforcer mon argument. Ernaux compose une autobiographie collective où ses souvenirs individuels sont intégrés dans le contexte plus large des grandes étapes sociales du XXe siècle. Cette polyphonie, mêlant le privé au collectif, reflète une écriture où l'introspection personnelle devient un miroir des structures sociales. Ernaux elle-même déclare: «Écrire, c'est inscrire l'intime dans le grand récit collectif».

De la même manière, Stendhal dans *Le Rouge et le Noir* prend la liberté de dépasser les actions de Julien Sorel et de s'engager avec les conflits politiques et sociaux qui caractérisent la période de la Restauration. Stendhal n'analyse pas sa société, mais la laisse plutôt se composer des ambitions, des frustrations et des luttes de son héros. Comme le souligne Peter Zima dans *La sociocritique aujourd'hui*: «Le romancier, à travers ses personnages et leurs luttes, exprime les contradictions sociales sans qu'elles soient réduites à un discours analysé».

4.3.2. La Polysémie : Vers Des Lectures infinies

Si l'on considère les textes littéraires comme des reflets des formations sociales, alors la structure devient secondaire. En fait, c'est tout le contraire. C'est l'instabilité du sens qui fait la force de ces textes, car elle invite à de nouvelles interprétations. Cette polysémie, comme le dit Paul Ricoeur, provient de ce qu'il appelle la «surabondance du sens»: le texte dépasse toujours l'intention de l'auteur et se prête à de multiples interprétations (Temps et récit, 1983, p. 92).

On voit bien cette richesse polysémique dans les tensions entre ce qui est dit et ce qui ne l'est pas, entre ce qui est visible et ce qui est implicite. Dans *À la recherche du temps perdu* (1913-1927), Marcel Proust n'est pas qu'une simple fresque sociale de la belle époque ou une quête de souvenirs personnels. C'est aussi une réflexion profonde sur le temps, le désir, et même sur la création littéraire elle-même. Chaque époque, avec ses préoccupations, redonne vie au texte, comme le souligne Umberto Eco: «l'œuvre ouverte ne se laisse jamais réduire à un seul signifié» (L'Œuvre ouverte, 1965, p. 23).

il la fait vibrer à travers les espoirs et les déceptions de son personnage, créant ainsi une tension entre le singulier et le pluriel.

Cette fonction de «miroir social» est aussi présente chez Balzac, dont *La Comédie humaine* est en fait un laboratoire des transformations économiques et politiques de la France après la Révolution. Balzac n'était pas juste un contributeur passif à une œuvre française emblématique. Il s'engageait vraiment à exposer comment le pouvoir social et la mobilité se construisent en fonction de la politique, comme on le voit dans ses intrigues où les personnages semblent enfermés derrière des barreaux invisibles. Lucien Goldmann le dit bien: «le roman réaliste ne décrit pas simplement la société: il dépeint des contradictions qui prouvent qu'elle est beaucoup plus complexe qu'elle ne le semble» (Pour une sociologie du roman, 1964).

Mais ce recul sociologique ne se limite pas à la littérature du XIXe siècle. Prenez *Les Années* d'Annie Ernaux (2008); elle montre comment ses souvenirs personnels s'entremêlent avec un récit social et historique plus vaste. Mon point de vue se situe entre ces deux extrêmes. Si l'écrivain peut être un observateur inconscient des réalités sociales, il est aussi, par son écriture, un acteur. Même lorsqu›une œuvre littéraire ne prétend pas nécessairement représenter la société, elle le fait involontairement.

C'est la tension entre la réflexion et la création qui confère à la littérature sa richesse. Prenons l'exemple de Flaubert dans *L'éducation sentimentale*. Frédéric Moreau, le personnage principal du roman, est avant tout une figure introspective, mais il est aussi un excellent exemple des espoirs et des désillusions de la jeunesse de la classe marchande au XIXe siècle. Flaubert n'a pas l'intention d'être un sociologue, mais il fournit néanmoins une analyse sociale précise, presque inconsciemment. Comme Flaubert écrit à Louise Colet, « L'artiste doit être dans son œuvre comme Dieu dans l'univers : présent partout, mais visible nulle part ». Cette déclaration rejoint la perspective de Proust sur la littérature comme espace de subjectivité. Mais grâce à l'attention portée aux détails, Flaubert passe, toutefois, du particulier au général.

la Restauration. Il ne fait pas vraiment une analyse de sa société, mais il laisse plutôt émerger les ambitions, les frustrations et les luttes de son héros. Comme Peter Zima le souligne dans *La sociocritique aujourd'hui*: «Le romancier, à travers ses personnages et leurs luttes, exprime les contradictions sociales sans qu'elles soient réduites à un discours analysé».

4.3. La Contribution Interdisciplinaire De La Littérature : Un Espace Pluraliste

La littérature ne se contente pas de raconter des histoires : elle interroge, déconstruit et reformule les structures sociales, psychologiques et philosophiques de son époque. À la croisée de plusieurs disciplines, elle devient un terrain d'expérimentation où dialoguent la sociologie, la psychanalyse, la linguistique et l'histoire. Ce pluralisme interprétatif témoigne de la richesse du texte littéraire, qui dépasse la simple représentation du réel pour en proposer une relecture critique et nuancée.

4.3.1. La Littérature Comme Reflet Des Structures Sociales

La littérature, ce n'est pas seulement une fenêtre ouverte sur des quêtes esthétiques ou des réflexions personnelles, c'est plus comme un prisme à travers lequel on peut voir les relations sociales et les mécanismes qui les sous-tendent. Pierre Bourdieu le dit bien: «Le texte littéraire, même lorsqu'il semble être le plus libre des contingences de ce monde, est traversé par les structures objectives qui déterminent les conditions de sa production» (Les Règles de l'art, 1992). Donc, chaque œuvre littéraire, même si elle paraît éloignée de la réalité sociale et politique de son époque, joue un rôle actif dans la construction de cette réalité.

On peut observer cette capacité de la littérature à rendre compte des relations sociales dans des œuvres où le texte capture les aspirations, les tensions et les luttes d'une époque donnée, devenant ainsi un reflet des structures collectives. Dans *Le Rouge et le Noir*, Stendhal montre Julien Sorel, un jeune homme ambitieux, qui incarne la jeunesse cherchant à réussir tout en affrontant une aristocratie en déclin. Stendhal ne se contente pas de décrire cette aristocratie;

aussi un acte politique, une manière de changer la réalité sociale et d'éveiller les consciences.

Contrairement à Proust, il ne se contente pas de dépeindre le monde tel qu'il est; il agit sur ce monde. Mais cet engagement n'est pas sans risques. Si une œuvre est trop ancrée dans des problématiques contemporaines, elle risque de perdre sa portée universelle. Sartre lui-même le reconnaît dans *Situations*: l'«écrivain engagé» doit s'assurer que «son œuvre atteigne une pertinence universelle, le message doit transcender les circonstances immédiates sous peine de devenir de simples écrivains laudateurs ou polémistes».

Mon opinion se trouve quelque part entre ces deux extrêmes: l'écrivain peut être cet observateur un peu inconscient des réalités sociales, mais en même temps, à travers ses mots, il devient aussi un acteur. Même si une œuvre littéraire ne vise pas forcément à représenter la société, elle finit souvent par le faire, sans même s'en rendre compte. C'est vraiment cette tension entre réflexion et création qui donne à la littérature toute sa richesse. Prenons, par exemple, Flaubert et son roman *L'Éducation sentimentale*. Frédéric Moreau, le protagoniste, c'est avant tout quelqu'un d'introspectif, mais il incarne aussi les espoirs et les désillusions de la jeunesse de la classe marchande du XIXe siècle. Flaubert, lui, n'a pas cherché à être sociologue, et pourtant, il nous offre une analyse sociale assez précise, presque sans y penser. Comme il l'a écrit à Louise Colet, «L'artiste doit être dans son œuvre comme Dieu dans l'univers: présent partout, mais visible nulle part». Ça rappelle bien la façon dont Proust voit la littérature comme un espace de subjectivité. Et grâce à son attention aux détails, Flaubert réussit à passer du particulier au général.

Un autre exemple qui renforce mon point, c'est Annie Ernaux avec *Les Années*. Elle crée une autobiographie collective où ses souvenirs personnels s'entrelacent avec les grandes étapes sociales du XXe siècle. Cette approche polyphonique, qui mêle le privé au collectif, montre comment l'introspection personnelle peut devenir un reflet des structures sociales. Ernaux le dit elle-même: «Écrire, c'est inscrire l'intime dans le grand récit collectif».

De la même façon, Stendhal dans *Le Rouge et le Noir* dépasse les actions de Julien Sorel pour explorer les conflits politiques et sociaux de la période de

de son groupe. En d'autres termes, on veut remplacer l'approche symbolique, trop centrée sur l'analogie, par une approche fonctionnelle qui s'intéresse aux processus linguistiques : montrer comment un argument sociologique peut faire écho à un argument psychanalytique, et vice versa. En proposant ici une lecture sociologique et psychanalytique de Marcel Proust, mon but est de prouver qu'on peut réduire, même si c'est difficile d'éliminer totalement, le pouvoir de l'analogie et renforcer les bases empiriques de notre argument grâce à deux concepts méthodologiques:

- Le lien entre texte et société doit être vu comme un processus intertextuel où le produit littéraire se transforme à partir de langages, qu'ils soient fictionnels ou non, parlés ou écrits.
- Les langages parodiques ou critiqués dans un roman ou une pièce de théâtre remplissent aussi des fonctions esthétiques, psychologiques et sociales, et leur étude permet de comprendre la structure globale du texte ; pour le dire autrement, la structure *d'À la recherche du temps perdu* s'éclaire, entre autres, par les langages et les discours présents dans le roman.

Pierre Bourdieu le souligne bien dans *Les règles de l'art*: «l'œuvre d'art, même lorsqu'elle s'éloigne du réel, est créée par des structures sociales qui sont la base de l'écrivain». Proust est un parfait exemple de cette idée: il explore comment ses visions introspectives révèlent des structures sociales, souvent mécaniques, qui agissent en lui, même s'il n'en est pas toujours conscient.

4.2. Engagement Social Et Conscience Chez Sartre

À l'autre bout du spectre, Jean-Paul Sartre met l'accent sur la responsabilité éthique de l›écrivain. Pour lui, chaque acte d'écriture est une sorte de prise de position. Dans *Qu'est-ce que la littérature ?*, il affirme: «Un auteur ne peut échapper à son temps : il écrit dans un monde qu'il change par ses propres mots». Cette idée se concrétise dans ses romans comme *Les Chemins de la liberté*, où les choix de ses personnages se trouvent immergés dans les conflits historiques et idéologiques de leur époque. Pour Sartre, écrire, c'est

de se réinventer, un peu comme un caméléon, au gré des contextes et des regards. Cette ouverture sémantique ne garantit pas seulement leur longévité, mais aussi leur impact émotionnel, transformant la lecture en une véritable co-création entre le texte et son lecteur.

4. Intersections Entre Sociocritique Et Autres Disciplines

L'étude des œuvres littéraires ne peut se limiter à une seule grille de lecture. La sociocritique, qui analyse les liens entre littérature et structures sociales, s'enrichit lorsqu'elle dialogue avec d'autres disciplines, comme la psychanalyse ou la philosophie. Ces croisements permettent d'explorer la manière dont les textes articulent l'individu et le collectif, le subjectif et l'objectif, le personnel et l'historique. En s'appuyant sur des approches complémentaires, l'analyse littéraire gagne en profondeur et révèle les différentes strates de signification qui habitent un texte.

4.1. Société Et Psyché : Sociologie Et Psychanalyse De Proust

Il est opportun donc de dire que les méthodes classiques de la sociologie et de la psychanalyse, ont un souci commun: elles se focalisent surtout sur le contenu, sur les thèmes, et passent souvent à côté des structures linguistiques qui se cachent dans les textes. En lien avec ce qui a été susmentionné, j'aimerais montrer qu'on peut vraiment combiner sociologie et psychanalyse, mais dans un cadre qui s'appuie sur la sociologie du texte, en tenant compte de la situation sociolinguistique, du sociolecte et des structures narratives et sémantiques de la fiction. Dans l'approche que je propose, l'idée d'analogie, qui est souvent utilisée dans le domaine, devrait être remplacée par celle de sociolecte.

Au lieu de faire une analyse comparative des personnages, des actions, ou d'appliquer des concepts psychanalytiques comme la répression ou le complexe d'Œdipe, je voudrais discuter de la fonction psychique (et sociale) des structures linguistiques présentes dans les textes littéraires. Plutôt que de chercher des significations symboliques cachées ou des symboles sexuels dans le texte, je souhaite explorer une certaine forme de langage, une perspective qui se rattache au sociolecte, en lien avec la psyché de l'auteur et

3.3. Polysémie Et Diversité Des Sens Dans La Littérature

La littérature, en tant que texte, est fascinante. Elle s'ouvre sur un champ d'interprétations sans fin. Ce n'est pas noir ou blanc, bien au contraire, elle offre une pluralité de sens qui dépend autant de la structure du texte que du regard des lecteurs, chacun avec son propre bagage historique. Umberto Eco le dit très bien: «Une œuvre est une machine à produire du sens» (L'Œuvre ouverte, 1965, p. 15). Ceci souligne à quel point le texte peut être riche, parfois même au-delà de ce que son auteur avait en tête.

Cette pluralité de sens dans la littérature se manifeste surtout dans la tension entre ce que l'auteur voulait dire et ce que le lecteur comprend. Paul Ricoeur, dans son livre *Temps et récit* (1983), parle d'«appropriation». Il explique que le lecteur actualise le texte à travers ses propres expériences, ce qui donne lieu à une multitude d›interprétations. Vous savez, un même texte peut être compris de mille façons différentes selon le contexte historique et social. Prenons l'exemple de *La Divine Comédie* de Dante. À l'époque, on la voyait comme une allégorie théologique, mais aujourd'hui, on l'interprète aussi comme une réflexion sur l'exil et la condition humaine.

Les différentes significations d'un texte n'émanent pas seulement d'une interprétation, mais aussi de sa structure. Mikhaïl Bakhtine parle du dialogisme. Ce qu'il veut dire, c'est qu'un texte littéraire est souvent le champ de bataille de différents discours et idéologies. On le voit bien dans des romans comme *Les Démons* de Dostoïevski, où plusieurs voix s'affrontent, chacune représentant une vision du monde différente. Esthétiquement, cette polysémie est pleine d'ambiguïtés et de suggestions, un vrai terreau pour de nouvelles idées. Stéphane Mallarmé, lui, a même dit que « nommer un objet, c'est supprimer trois quarts de la joie du poème» (Crise de vers, 1897). Ainsi, dans *Un coup de dés jamais n'abolira le hasard*, l'incomplétude du texte ouvre la porte à des interprétations infinies, rendant son sens toujours changeant et incertain.

En fin de compte, cette richesse de significations et cette diversité d'interprétations donnent à la littérature une profondeur qui dépasse l'intention de l'auteur. Elles permettent aux œuvres de traverser le temps,

3.1. Une Vision Multiple De La Littérature : Entre Conscience Et Inconscient Social

L'écrivain, qu'il en ait conscience ou non, est imprégné des réalités sociales de son temps. Si certains auteurs revendiquent une approche engagée et critique de la société, d'autres traduisent ces influences de manière plus subtile, intégrant inconsciemment des schémas socioculturels dans leurs récits. La littérature se situe ainsi à l'intersection du conscient et de l'inconscient social, oscillant entre observation et introspection, analyse et subjectivité. Cette dualité en fait une discipline aux interprétations multiples, qui témoigne des tensions et évolutions de son époque tout en leur offrant une dimension intemporelle.

3.2. La Littérature Comme Écho Des Dynamiques Sociales Et Individuelles

Un auteur, en tant que créateur de l'univers de son œuvre, est toujours à la fois un produit et une partie de son travail. Il est important de poser la question suivante: la société s'impose-t-elle de façon inconsciente à l'écrivain ou ce dernier comprend-il vraiment l'impact social de ce qu'il écrit? Marcel Proust répond à cette question dans *Le Temps retrouvé* en disant: «L'écrivain ne décrit pas la société telle qu'elle est, mais telle qu'elle se reflète, déformée par ses émotions, ses souvenirs et ses rêves». Proust parle ici d'une manière fascinante de l'auto-interprétation de l'artiste. Dans son œuvre *À la recherche du temps perdu*, il ne se voit pas comme un simple observateur sociologique. Non, il plonge dans la vie de ses personnages et explore les relations, les tensions et les changements de la société française de la Belle Époque. Prenons, par exemple, le salon de Mme Verdurin. C'est comme un symbole de la fin de l'aristocratie et le début d'une ère où la bourgeoisie prend les rênes. Mais, curieusement, Proust ne donne pas d'explications claires. Il laisse au lecteur le soin de découvrir cette dynamique, un peu comme un jeu de cache-cache. Et même s'il n'affiche pas une volonté sociologique, cela ne veut pas dire qu'il ignore la réalité sociale.

loin d'abolir la singularité de l'œuvre littéraire, aide à la mieux comprendre en liant les déterminismes sociaux à la complexité interne du texte. Il en résulte un espace hybride de la littérature dans lequel s'articulent les tensions entre l'individu et la société, entre mémoire et histoire, entre contrainte et liberté.

Rendre compte des singularités esthétiques et du fait social demande de rattacher deux éléments, assez lointains en matière de champ politique et éthique. Cela incite à restructurer la définition de la littérature, la concevant comme un espace d'interprétation infini. Une œuvre d'art, surtout en littérature, n'est pas seulement construite à partir de représentations sociales ou d'idéologies. Elle ne fonctionne jamais non plus comme une simple représentation de la réalité. Chaque texte interroge et réassemble le monde à travers des lentilles subjectives, des choix stylistiques personnels, ainsi que des stratégies narratives uniques des auteurs. Par conséquent, comprendre un texte va au-delà de la détection des contraintes sociales: cela nécessite également que le lecteur plonge dans ses propres pensées et construise des ponts entre sa réalité et le monde fictif. L'équilibre entre les tendances sociétales et personnelles, entre le contexte historique et la perception de soi, est le point focal de l'approche herméneutique de la littérature. C'est le cadre à partir duquel nous allons maintenant examiner comment une œuvre littéraire, comprise comme un document social, reflète les individus et comment elle sert d'espace à une interprétation libre.

3. Littérature, espace d'interprétation infinie : miroir du social et écho de l'individuel

La littérature est un espace de résonance où se croisent les voix individuelles et les dynamiques collectives. À travers ses multiples formes, elle reflète les structures sociales tout en capturant les émotions et les perceptions singulières. Elle ne se limite pas à un simple miroir du réel : elle le transforme, le déforme et le réinvente selon la subjectivité de l'auteur et la réception du lecteur. Ce dialogue constant entre l'individuel et le collectif confère à la littérature un pouvoir interprétatif infini, où chaque texte devient un terrain d'exploration, d'interrogation et de redéfinition du monde.

naître les tensions entre la noblesse et la bourgeoisie (HISTOIRE). Ce genre de travaux complets procure un véritable bilan interprétatif, en l'espèce, une contradiction à la lacune sociologique puisque, ici, un écrivain n'est pas relégué à un simple figurant du champ littéraire. Il est également un acteur qui a la volonté de bousculer les normes.

2.3.2. Évolutions Contemporaines : Vers Une Sociocritique Élargie

Loin de se figer dans une approche purement déterministe, la sociocritique a su évoluer en intégrant des perspectives plus complexes sur l'acte de création littéraire. Plusieurs théoriciens contemporains, à l'instar de Jacques Rancière et Gisèle Sapiro, s'efforcent d'analyser l'interdépendance qui existe entre l'autonomie et l'hétéronomie de la littérature. Rancière reproche que « la revendication de l'œuvre littéraire par la société ne s'effectue que dans la détermination d'un ordre social au sens le plus classique du terme ; il frappe à la porte pour la ressortir sous une autre forme. » (Rancière, 2007, p. 64). En d'autres termes, le texte littéraire, tout en étant ancré dans des rapports sociaux, joue également un rôle actif dans la reconfiguration des imaginaires collectifs.

Dès lors, il est pertinent de confronter la sociocritique aux approches plus introspectives de la littérature, notamment celles développées par Marcel Proust et Jean-Paul Sartre. Si Proust perçoit l'écriture comme un moyen d'explorer les méandres de la mémoire involontaire et de l'introspection subjective (*À la recherche du temps perdu* étant une quête du moi autant qu'une plongée dans les strates temporelles de la conscience), Sartre défend une vision plus engagée de la littérature. Dans *Qu'est-ce que la littérature?*, il affirme que «l'écrivain engagé sait que les mots sont des actes, et qu'écrire, c'est agir» (Sartre, 1948, p. 23). Cette tension entre écriture subjective et responsabilité sociale rejoint les débats contemporains sur la littérature-monde et les écritures postcoloniales, qui réinterrogent la place de la fiction dans la fabrique des imaginaires et des identités collectives.

Finalement, la sociocritique ne saurait être réduite à un carcan théorique figé, elle devrait toujours être en mesure d'accepter des grilles de lectures qui sont esthétiques, subjectives ou même postmodernes. Cette démarche, qui

circonscrivant, elle est l'une des méthodes les plus remises en cause à ce jour. L'objection soutenue réside dans son prétendu déterminisme qui se donne l'air de ramener une œuvre littéraire à une simple dérivée des formes sociales, ignorant à la fois sa singularité esthétique et le considérable talent individuel qui y entrent. Dans cette mesure, Antoine Compagnon prévient une lecture qui «encloîtrait la littérature dans une causalité strictement sociologique», à la suite de quoi il y aurait cette ignorance à mauvais escient «de l'ambivalence constitutive d'une œuvre d'art, ces points de tension, de résistance et de transcendance» (Compagnon, 1998, p. 215).

Frank Wagner et Peter Zima, dans leur critique du schéma de Bourdieu, soutiennent qu'il est nécessaire d'incorporer l'analyse sociale et esthétique du texte. Zima, sur la base de Mikhaïl Bakhtine, enrichit la sociocritique par la polyphonie : «Chaque texte est le site de conflit de plusieurs discours sociaux et idéologiques, une arène où des voix plurielles et hétérogènes s'engagent dans un combat» (Zima, 2000, p. 89).

La littérature, par conséquent, plutôt que d'être une reproduction pure de la structure sociale, est un lieu de lutte symbolique dans lequel l'écrivain peut transmettre les discours hégémoniques. Certaines œuvres se donnent particulièrement à un examen de cette dialectique entre détermination sociale et liberté artistique. Pour Annie Ernaux, dans *Les Années*, l'intersection entre témoignage collectif et écriture autobiographique repère une subjectivité durement ancrée dans les bouleversements sociopolitiques du XXe siècle. Telle est sa démarche, à la croisée du récit de vie et de l'histoire de France contemporaine, qui lui permet de déclarer sans ambages que «la littérature est à la fois une archive du réel et une réinvention du monde» (Maingueneau, 2014, 172).

Ainsi, Stendhal dans *Le Rouge et le Noir* a déjà évoqué, à l'aide du parcours de Julien Sorel, la tension entre déterminisme social et libre arbitre. En utilisant la théorie des trois histoires, qui en a fait l'objet de Dominique Barberis, il est plus aisé d'isoler la trajectoire intime du personnage principal (histoire), l'encadrement du roman dans un contexte précis, la France postnapoléonienne (histoire), et enfin le roman sous l'angle d'une période historique qui voit

2.2.2. La Théorie Des Trois Histoires De Barberis

Barberis a introduit une théorie novatrice « Trois Histoires », qui ajoute de la valeur à la désintégration des influences sociales et historiques dont chaque œuvre littéraire est imprégnée. Selon cette théorie, chaque œuvre littéraire se compose de trois niveaux ou plutôt, dimensions de l'histoire : l'« histoire », l'« histoire » et HISTOIRE. L'«histoire» est la partie de l'ouvrage qui traite de la trame principale, de l'intrigue ainsi que des actions qui se passent dans le texte. Par exemple, dans *Les Misérables*, de Victor Hugo, l'histoire est celle de Jean Valjean et de sa quête d'une grâce. L'«histoire» évoque des événements précis que l'on retrouve dans le roman tel que la Révolution de 1830 qu'il raconte et qui servent de repères et de contexte pour l'action ainsi que le texte. Il se réfère également, en dernier lieu, à un récit global, c'est-à-dire l'ensemble des bouleversements de type social, politique, culturel comme les guerres napoléoniennes ou les révolutions françaises qui font le cadre des faits particuliers du texte: HISTOIRE.

Analyser l'œuvre portant un tel titre renseigne sur la vie de l'auteur, et sur l'époque, mais propose aussi un approfondissement concernant le transformable social, politique et historique qui entoure la narration. Ainsi, chaque texte devient une passerelle entre l'histoire individuelle et des faits singuliers avec des changements sociaux d'une grande envergure.

2.3. Critiques Et Perspectives d'Évolution

Si la sociocritique a profondément renouvelé l'analyse littéraire en mettant en avant les interactions entre texte et société, elle n'a pas échappé aux critiques. Certains lui reprochent un déterminisme excessif qui réduirait l'œuvre à un simple reflet du contexte social. Cependant, cette approche a évolué, intégrant des lectures plus nuancées où se croisent esthétique et analyse sociologique, ouvrant ainsi de nouvelles perspectives d'interprétation.

2.3.1. Controverses Et Limites De La Sociocritique : Entre Déterminisme Et Indépendance Esthétique

Si la sociocritique transforme radicalement l'étude de la littérature en mettant l'accent sur les rapports dialectiques entre le texte et la société le

idéologiques de son temps. Dans une certaine mesure, cette approche est, par ailleurs, contestable, en ce qui concerne son caractère réducteur. Ceux-ci doivent être examinés afin de comprendre les changements contemporains de la sociocritique et comment elle est utilisée dans le contexte des études littéraires.

2.2.1. Pierre Bourdieu Et La Notion Du Champ Littéraire

Dans son ouvrage *Les règles de l'art*, Pierre Bourdieu soutient que l'œuvre littéraire doit nécessairement s'intégrer à un contexte social. Il soutient que « l'autonomie de l'art est une conquête historique qui n'est jamais totalement acquise ». Elle est construite à l'aide de rapports de forces symboliques qui existent entre les écrivains, les institutions, et les lecteurs - ce qui conditionne non seulement la production littéraire comme une œuvre d'art mais un élément d'un processus social. L'écrivain est à la fois un acteur façonné par son milieu et un agent capable de transformer ce milieu par son travail créatif. Bourdieu met en lumière la tension entre les contraintes sociales qui influencent la création et la liberté créatrice de l'écrivain. Par exemple, un auteur comme Gustave Flaubert, dans *Madame Bovary*, représente la lutte contre ce contrôle bourgeois tout en étant complètement enveloppé dans les structures de pouvoir du monde littéraire de son temps.

La sociocritique appelle à une prise de conscience de la manière dont une œuvre littéraire est produite et comment elle impacte les relations sociales et idéologiques. «Pour comprendre une œuvre littéraire, il faut comprendre le contexte dans lequel elle a été produite», dit Bourdieu, ce qui, pour lui, signifie un moment spécifique dans le temps et l›espace. Alors, l›œuvre devient un site de manifestation des relations sociales dans leurs multiples dimensions telles que les conflits entre idées, les structures de pouvoir et les contradictions sociales. Elle montre les luttes entre les forces sociales qui cherchent à établir une légitimité culturelle spécifique et la vision sociale qu›elles souhaitent imposer à la société.

compréhension sociale de ses publics. De ce point de vue, l'habitus est un concept important dans l'étude de la littérature et de la société parce qu'il relie l'acte d'écrire aux contextes sociaux et culturels des personnes.

De plus, la polyphonie et le dialogisme, tels que développés par Mikhaïl Bakhtine, sont essentiels à la sociocritique. Ils désignent la présence de différentes voix sociales, idéologiques et culturelles dans un même texte. Zima, par exemple, souligne qu'il faut étudier les textes littéraires comme des constellations de différentes voix. De ce point de vue, tous les textes sont des constructions sociales qui représentent différents conflits et relations sociales, et dans certains cas, des contradictions, s'articulant ensemble. Cette hétéroglossie permet de comprendre les relations de pouvoir à un moment donné et les anomalies sociales présentées dans toute œuvre narrative. Par conséquent, la sociocritique, en tant qu'approche diatopique, révèle de quelle manière les divers textes mettent en scène et véhiculent leurs conceptions sociales et de quelle manière ils s'intègrent au débat public sur les questions qui les préoccupent.

Le sociolecte, les structures sociales, le champ littéraire, l'habitus et la polyphonie constituent des sciences sociales qui, telles des bulles qui se rejoignent, forment un ensemble intégré, au sein duquel l'ensemble des systèmes sociaux est analysé. Différente d'être seulement localisée, la littérature est distincte dans la condensation sociale ou politique du pouvoir. Ces concepts se combinent pour offrir un angle de vue et d'étude de la littérature non seulement comme une forme d'art mais aussi comme une entité sociétale, idéologique et politique d'une période donnée. Ces constructions nous aident à voir la littérature sous un angle nouveau, comme un terrain de lutte symbolique et de négociation des valeurs sociales et culturelles.

2.2. Contributions Principales De La Sociocritique

La sociocritique, en tant que stratégie théorique, fournit des clefs de lecture pour déterminer le rôle que joue la production littéraire au sein des configurations sociales. C'est pourquoi, des concepts tels que le champ littéraire, l'habitus, ou la polyphonie sont mobilisés pour comprendre comment un ouvrage littéraire peut saisir les contradictions sociales et

ainsi que de la manière dont leurs relations de pouvoir construisent l'identité sociale de l'individu ou du groupe.

Les structures sociales sont les arrangements de rôles sociaux, institutions et relations de pouvoir dans toute société donnée. Elles affectent non seulement les ressources et limites disponibles pour un individu, mais aussi les relations qui relient différents groupes sociaux. Ces structures donnent accès à des ressources symboliques et déterminent comment la culture ou le savoir est produit et consommé par les groupes sociaux. D'un point de vue sociocritique, la littérature est toujours un produit d'une société particulière et des relations de pouvoir qui résonnent en elle, de sorte que l'étude de l'œuvre implique de telles relations de pouvoir.

Le **champ littéraire,** concept développé par Pierre Bourdieu, décrit l'espace social où se rencontrent des acteurs – auteurs, institutions, éditeurs, lecteurs – et où se joue une lutte pour l'autorité culturelle. Chaque œuvre littéraire se trouve positionnée dans ce champ, en interaction avec d'autres textes et acteurs, et sa signification est en grande partie déterminée par sa place dans cette hiérarchie symbolique. Bourdieu soutient que pour comprendre une œuvre, il faut comprendre la position qu'elle occupe dans ce champ. En d'autres termes, la valeur d'une œuvre n'est pas seulement définie par ses qualités esthétiques intrinsèques, mais aussi par son rapport aux autres œuvres et aux acteurs du champ littéraire à un moment donné de l'histoire. Le champ littéraire est ainsi un lieu de pouvoir, de légitimité et de production symbolique.

2.1.2. Concepts Clés : Sociolecte, Structures Sociales, Champ Littéraire, Habitus, Polyphonie

Un autre terme central dans la sociocritique est la notion d'habitus. Il fait référence à un système de dispositions durables qui aide à classer les individus au sein des structures sociales, y compris les façons de penser, d'agir et de percevoir. L'habitus fournit une compréhension de la manière dont l'écrivain produit le texte et de la manière dont les différents personnages, narrateurs et lecteurs se rapportent au texte. L'habitus éclaire comment un texte est conditionné par le contexte de sa production et comment il peut façonner la

idéologies et les discours collectifs influencent la production et la réception du texte littéraire. Ainsi, l'analyse sociocritique, en articulant le texte à son environnement culturel, enrichit la compréhension des dynamiques qui le traversent et éclaire les enjeux profonds de sa signification.

2. L'approche sociocritique: origines, apports et limites

La sociocritique analyse les liens entre littérature et société en examinant les structures sociales, les discours dominants et les rapports de pouvoir. Elle met en lumière la façon dont les textes reflètent ou contestent leur contexte sociopolitique. Toutefois, si cette approche enrichit l'interprétation des œuvres, elle risque parfois de réduire la littérature à un simple reflet du social.

2.1. Origines Et Fondements De La Sociocritique

Ancrée dans les théories de Bourdieu et Bakhtine, la sociocritique étudie la littérature comme un produit culturel influencé par les dynamiques sociales. À travers des concepts comme le sociolecte, l'habitus et le champ littéraire, elle analyse les tensions idéologiques et les rapports de force inscrits dans les textes.

2.1.1. Historique Et Définition

À partir de la racine «socio», qui évoque la société, la sociocritique dépeint la relation entre la littérature et la société. Le sociolecte, par exemple, est l'un des termes sociaux critiques essentiels qui tente de saisir les variations de discours au sein d'une même société, comme l'utilisation de l'argot parmi les jeunes. Les structures sociales ainsi que le champ social, les orbites d'une unité sociale, de même que l'habitus et la polyphonie, sont des structures sociales centrales qui avancent le concept d'un texte comme un point de contention entre un individu et le cadre social. Par exemple, les expressions et phrases appartenant à une classe sociale ou à une région particulière peuvent servir d'indices des relations sociales révélant la hiérarchie et les luttes de pouvoir au sein de la société, ces relations étant souvent de domination ou de résistance. Par conséquent, le sociolecte est une partie vitale dans la compréhension de la façon dont les individus et les groupes s'expriment et se différencient

enrichie par une lecture sociocritique, qui analyse les déterminismes sociaux pesant sur Emma Bovary et son aspiration à un idéal inaccessible (Duchet, 1971). De même, une perspective psychanalytique, fondée sur les travaux de Freud (1900) et Lacan (1966), permettra d'examiner les mécanismes inconscients qui sous-tendent les désirs et frustrations du personnage.

Cette nécessité de croiser les regards critiques trouve un écho dans les théories contemporaines de l'intertextualité et de la réception. Julia Kristeva (1969) insiste sur le fait que « tout texte est un intertexte », soulignant ainsi l'importance des relations entre les œuvres et les discours culturels qui les traversent. Dans cette perspective, une lecture de *Beloved* (Morrison, 1987) ne peut se limiter à une analyse stylistique ou narrative : une approche postcoloniale (Spivak, 1985) révélera les enjeux de mémoire et de transmission liés à l'héritage de l'esclavage, tandis qu'une critique féministe (Showalter, 1979) interrogera la construction de l'identité féminine dans un contexte de domination raciale et patriarcale.

Loin d'un éclectisme méthodologique dépourvu de rigueur, cette complémentarité des approches permet de saisir la polysémie inhérente à toute œuvre littéraire. Comme le souligne Barthes (1970), «le texte est un tissu de citations issues des mille foyers de la culture», ce qui implique une lecture plurielle et ouverte. Dès lors, la critique littéraire ne saurait se limiter à une grille d'analyse figée, mais doit au contraire se penser comme un espace dynamique d'interprétation, où les différentes approches dialoguent et s'enrichissent mutuellement.

En somme, plaider pour une complémentarité des approches revient à reconnaître la complexité du fait littéraire et à s'inscrire dans une démarche herméneutique soucieuse d'explorer les multiples facettes du texte sans en trahir la richesse. Cette posture critique ouvre ainsi la voie à une lecture plus nuancée, qui conjugue rigueur analytique et respect de l'œuvre. Dans cette perspective, l'approche sociocritique s'impose comme un outil privilégié pour appréhender les interactions entre le texte et son contexte socio-historique. En s'attachant à révéler les marques de l'imaginaire social inscrites dans l'œuvre, elle permet d'interroger la manière dont les structures sociales, les

significations. L'analyse de la réception s'intéresse davantage à l'évaluation d'un texte particulier et à la manière dont il est compris et interprété par des personnes de différents secteurs sur une période de temps. Ces méthodes prouvent qu'il est possible de préserver l'unicité de l'œuvre tout en proposant des interprétations critiques innovantes.

Pour conclure, la tension entre analyse critique et respect de l'œuvre demeure un enjeu central des études littéraires. En reconnaissant les limites de chaque approche, il est possible de développer des outils analytiques qui enrichissent la compréhension d'un texte sans en trahir la richesse intrinsèque. Cette réflexion ouvre la voie à une méthode critique équilibrée, à la fois rigoureuse et respectueuse, qui sera explorée plus en détail dans l'examen de la sociocritique.

1.3.2. Plaidoyer Pour Une Complémentarité Des Approches

L'analyse littéraire ne saurait se restreindre à une approche univoque sans risquer d'appauvrir la compréhension du texte. La richesse et la complexité des œuvres nécessitent une pluralité d'outils critiques permettant d'en appréhender les multiples strates de signification. Cette complémentarité méthodologique s'inscrit dans une perspective herméneutique, où l'interprétation devient un dialogue entre les théories, le texte et le lecteur.

Loin de s'opposer, les approches critiques se révèlent souvent complémentaires dans l'analyse des œuvres littéraires. Comme l'affirme Umberto Eco (1992), «un texte est une machine à générer des interprétations», ce qui implique que toute lecture se construit dans l'interaction entre différentes perspectives analytiques. Une approche strictement formaliste, telle que celle prônée par le *New Criticism*, qui privilégie l'analyse intrinsèque du texte (Wellek & Warren, 1949), ne saurait suffire à elle seule pour en saisir les enjeux socioculturels. De même, une lecture purement contextualisée, à l'image de la critique marxiste ou postcoloniale (Jameson, 1981; Said, 1978), risquerait de réduire l'œuvre à un simple reflet de son époque. Prenons l'exemple de *Madame Bovary* (Flaubert, 1857). Une analyse narratologique mettra en évidence la focalisation interne et l'ironie du narrateur, comme l'a étudié Genette (1972) dans *Figures III*. Cependant, cette approche peut être

en y insérant des notions théoriques trop étroits. Cette tension nous conduit à examiner une question plus large: comment respecter la richesse intrinsèque d'un texte tout en proposant une analyse rigoureuse et enrichissante?

1.3.1. Une Mise En Tension : Analyse Critique Ou Respect De l'Œuvre?

L'opposition entre analyse critique et respect de l'œuvre constitue une problématique fondamentale dans les études littéraires. Elle a ses avantages, car l'examen critique peut révéler un «potentiel interprétatif» dans un passage qui, autrement, serait considéré comme inopérant. Mais elle peut aussi limiter le champ d'interprétation qui va à l'encontre de l'esprit de l'œuvre. Barthes, à propos du plaisir du texte, dit: «Une œuvre doit rester un champ d'interprétation ouvert au lieu d'un territoire conquis», et il nous avertit contre cette portée excessive de l'interprétation. Pour illustrer cette tension, prenons *L'Étranger* d'Albert Camus. Une lecture existentialiste se concentrera sur l'absurde et la quête de sens dans la vie de Mersault, tandis que l'approche historiciste se centrera sur le cadre colonial français de l'Algérie. Chacune de ces lectures a sa légitimité logique, mais aucune ne peut prétendre épuiser les éléments illustratifs du personnage et de l'intrigue du texte, qui, dans chaque cas, est profondément déroutant. Cela sert d'exemple à la tension entre l'analyse critique et le respect de l'œuvre d'art et de sa structure.

Ce choc est également évident dans l'argumentation concernant la signification de l'intention de la part de l'auteur. Le concept de la soi-disant «mort de l'auteur», tel qu'argumenté par Barthes, fait référence à l'idée que l'interprétation d'un texte doit absolument se détacher de son créateur, au profit de la relation qui s'établit entre le lecteur et l'œuvre d'art. Tzvetan Todorov, entre autres, a contesté cette position où il soutient dans *La littérature en péril* que l'intention de l'auteur est une valeur importante à prendre en compte lors de l'interprétation du texte. Todorov déclare: «L'écrivain n'est pas seulement un témoin, il est aussi un créateur de sens».

Dans la critique contemporaine, des méthodologies comme l'intertextualité et l'analyse de la réception essaient de traiter cette séparation. L'intertextualité est un terme inventé par Julia Kristeva, qui se concentre sur les relations entre les textes et place ainsi une œuvre particulière dans un vaste réseau de

1.3. Critique De l'Évolution : Vers Une Approche Intégrative ?

De nombreux auteurs et théoriciens rejettent les critiques littéraires lorsqu'elles sont considérées comme trop simplistes ou arbitraires. Ces critiques peuvent figer un texte dans une seule perspective analytique, ce qui pourrait nuire à sa nature polysémique. Dans *À la recherche du temps perdu*, Marcel Proust affirme: «Une œuvre d'art ne peut pas être expliquée ; elle ne peut être que vécue». Cette citation démontre comment une expérience esthétique dépasse souvent les outils qui ont été utilisés de manière critique pour la décortiquer. Jean-Paul Sartre soutient l'expérience esthétique dans *Qu'est-ce que la littérature?*: «La liberté d'écrire est une condition essentielle du moi authentique». Selon Sartre, les critiques figées trahissent la vraie intention de l'auteur et minimisent le pouvoir existentiel de l'œuvre. Ceci accentue la tension entre les théories critiques et la singularité irréductible à chaque texte littéraire.

Dans son livre *Le degré zéro de l'écriture*, Roland Barthes souligne que l'interprétation critique, loin d'être neutre, reflète souvent des idéologies sous-jacentes. Il déclare que: «Toute critique représente une réécriture d'une œuvre originale et agit comme un effort qui s'y ajoute». Cette position, cependant, pose la question de savoir si la critique enrichit réellement le texte ou si elle le déforme en fonction de certaines perspectives extérieures. Par exemple, cette logique s'applique à *Madame Bovary* de Flaubert: une lecture féministe peut dénoncer la cage patriarcale dans laquelle Emma se trouve, tandis qu'une compréhension plus approfondie impliquera une approche psychanalytique soulignant ses désirs inconscients. Dans le but de rationaliser le texte littéraire, les critiques, grâce à la littérature psychanalytique, se concentrent sur ses aspects intellectuels, ce qui a également été critiqué. Contrairement à ce que soutient René Girard, Georges Poulet dans *La conscience critique*, affirme que « l'adhésion au texte passe par une immersion totale, non par une dissection froide ». Ainsi, selon Poulet, la critique peut parfois éloigner le récepteur de l'œuvre en imposant une interprétation rigide.

Finalement, quoique les méthodes critiques soient avantageuses pour comprendre correctement un texte, elles peuvent aussi en limiter la portée

1.2. Les Critères Pour Sélectionner Une Approche Critique

Analyser un texte en soi ainsi que ses origines et ses objectifs est crucial pour déterminer la méthode d'analyse à adopter. Plusieurs facteurs doivent être pris en considération tels que le contenu et le type de texte, l'époque à laquelle il fut rédigé, les intentions de l'auteur et les attentes du lecteur.

1.2.1. La Nature Et Les Spécificités Du Texte

Un texte littéraire nécessite souvent une approche spécifique selon son contenu et sa thématique particulière; par exemple, une lecture existentialiste se prête particulièrement bien à l'étude du roman *L'Étranger* d'Albert Camus en mettant en lumière l'absurdité inhérente à la condition humaine qu'il dépeint si vividemment. Proust souligne dans *Le Temps retrouvé* (1927): «Chaque lecture constitue en réalité une forme de réécriture et une collaboration entre l'auteur et le lecteur». Ainsi la manière dont un ouvrage est rédigé oriente souvent la manière dont il sera analysé par la suite.

1.2.2. Le Contexte De Production et De Réception

Il est aussi à noter que le phénomène historique et social est d'une grande importance. Par exemple, l'œuvre de Toni Morrison, et tout particulièrement *Beloved*, exige une lecture à caractère néo colonialiste dans l'analyse des stigmates de l'esclavage et son héritage au sein de l'identité africaine américaine.

Genette, dans *Figures III* (1972), souligne que « chaque texte a des racines dans une réalité qui détermine son écriture et sa lecture».

1.2.3. Les Objectifs De l'Auteur Et Les Attentes Du Lecteur

Enfin, il est nécessaire de prendre en considération les motifs implicites et explicites de l'auteur. Une lecture biographique des *Fleurs du Mal* de Baudelaire montre la tension de la recherche de la beauté et de l'anxiété existentielle qui troublait le poète. Mais Barthes, dans *La mort de l'auteur* (*Image-Musique-Texte*, 1977), avertit que «l'auteur devrait se retirer de la voie du texte». Cette déclaration démontre la relation complexe entre le texte, son auteur et ses lecteurs.

De plus, d'autres approches historiques, comme celles de Lukács dans *Le Roman Historique* (1937), cherchent à replacer l'œuvre dans les conditions sociales et politiques qui l'ont vu naître. Par exemple, une analyse de *Germinal* d'Émile Zola révèle les dures réalités des luttes ouvrières du XIXe siècle. Ces lectures permettent d'analyser comment l'œuvre est liée et répond aux tensions sociopolitiques environnantes.

Il existe également des approches formelles telles que le structuralisme proposé par Barthes dans *S/Z* (1970) qui étudie les propriétés de la narration et les systèmes de signes. Ils permettent de déceler les schémas et de savoir comment le texte est organisé sur les plans syntaxiques et sémantiques. Barthes précise: «Le texte est un tissu, un enchevêtrement de codes qui s'entrelacent et se répondent». Cette perspective révèle les ressorts cachés de la production littéraire.

1.1.2. Défis et Limites : Le Conflit Entre Évaluation Subjective Et Analyse

Autant qu'elles contribuent, ces approches critiques présentent des insuffisances significatives. La première limitation est qu'elles tendent à attribuer un sens fixe à l'analyse d'une œuvre. Jean Crouzet note: "Réduire un texte à une seule approche critique, c'est le dépouiller de sa richesse de sens". Ainsi, la construction d'une méthodologie unique aboutirait automatiquement à une approche analytique superficielle.

Certaines approches, par exemple le structuralisme ou la psychanalyse, ont été critiquées pour être trop formalistes en ignorant le contexte historique dans lequel le texte est produit et reçu. Dans son livre *Qu'est-ce que la littérature?*, Sartre a argumenté contre une approche purement formaliste: «La littérature est avant tout un acte, un engagement dans le monde, et non un simple jeu de structures». Cette critique, comme beaucoup d'autres, montre que le texte doit être étudié dans un contexte plus large. Enfin, il est à noter que certaines tendances comme l'école du déconstructivisme sont sans doute les plus avancées, mais elles peuvent également sombrer dans une complexité inutile. Derrida, bien que visionnaire, a souvent été accusé d'être hermétique, ce qui complique la diffusion de ses idées dans le champ littéraire.

cette section, nous explorons et évaluons les points forts et les limites des perspectives critiques en examinant également les facteurs qui sous-tendent la sélection d'une approche particulière et les objections soulevées à l'égard des cadres analytiques. Enfin, elle fait ressortir la controverse qui existe entre enrichissement et rigidification dans l'interprétation littéraire.

1.1. Les Avantages Et Les Limites Des Approches Critiques

Toute œuvre littéraire constitue un objet d'analyse dont la richesse s'exprime à travers une multitude de niveaux de lecture. Dès lors, l'étude d'un texte ne saurait se réduire à une approche univoque ; elle requiert au contraire une grille d'interprétation plurielle, qui mobilise différents outils critiques. Les théories littéraires, qu'elles soient d'inspiration psychanalytique, historique, formaliste ou encore déconstructiviste, offrent ainsi des perspectives variées permettant de cerner la complexité inhérente aux textes. Chacune d'entre elles éclaire des aspects spécifiques de l'œuvre et en approfondit la compréhension, révélant tantôt les mécanismes inconscients de l'écriture, tantôt les interactions entre le texte et son contexte sociopolitique, ou encore les structures narratives qui en régissent l'organisation. Cependant, si ces approches critiques apportent des éclairages essentiels, elles présentent également certaines limites. En effet, leur application rigide peut parfois enfermer le texte dans une grille d'analyse réductrice, en figeant son sens et en occultant sa polysémie. Dès lors, il convient d'interroger les apports et les insuffisances de ces outils théoriques afin d'en saisir la portée et d'adopter une lecture nuancée des œuvres littéraires.

1.1.1. Comprendre Le Texte Dans Sa Multidimensionnalité : Les Apports Des Approches Critiques

L'approche critique utilise des outils qui aident à expliquer et à décomposer les nuances d'un texte littéraire à divers niveaux: sémantique, symbolique et stylistique. Par exemple, l›approche psychanalytique basée sur les théories de Freud et Lacan met en lumière les chaos inconscients des personnages ou parfois de l'auteur lui-même. Une critique lacanienne de *Hamlet* de Shakespeare, (Écrits, 1966), affirme que le conflit du héros est un symptôme d'un problème œdipien.

justice à la nature multidimensionnelle du texte sans former une frontière simplifiée?

La sociocritique, en particulier, se concentre sur les relations sociales dans le texte littéraire et questionne comment l'œuvre littéraire traduit, remet en question ou reproduit les relations de différentes époques. Basé sur les travaux académiques de Pierre Bourdieu sur le champ littéraire, de Bakhtine sur la polyphonie, et de Zima sur le dialogisme, cette approche explique comment la littérature engage un dialogue avec les structures sociales et idéologiques. Cependant, certaines critiques avancent que cette approche est trop déterministe et qu'elle peut obscurcir les qualités esthétiques et créatives du texte.

1. L'importance des approches critiques: limites, avantages et choix

Contrairement à sa conception conventionnelle, l'analyse littéraire est ancrée dans de multiples domaines tels que l'histoire, la sociologie, la linguistique, et même les perspectives psychanalytiques. Elle tente d'aider à la compréhension du texte et révèle en même temps ses composants. Cependant, toute approche critique suppose un regard partiel, et parfois partial, sur l'œuvre. Barthes développe davantage cette idée dans *Le Plaisir du Texte* en suggérant: «Une œuvre ne se livre jamais entièrement à son lecteur; elle reste ouverte, en mouvement». Cette notion d'«ouverture» illustre la richesse mais aussi la complexité de l'interprétation. De plus, chaque approche littéraire est influencée par des paradigmes historiques sociologiques, rendant ainsi nécessaire l'évaluation de chacun dans un contexte donné.

Considérons le cas de *Madame Bovary* de Flaubert: une analyse psychanalytique révélerait les désirs non réalisés d'Emma au niveau personnel, tandis qu'une approche sociocritique examinerait les normes établies par le patriarcat au XIXe siècle. Bien que ces perspectives soient distinctes en apparence, elles tentent toutes deux de répondre à une question fondamentale: comment aborder le texte en suivant une méthodologie spécifique tout en jonglant avec la complexité intrinsèque des interactions textuelles? Dans

the other hand, placing it alongside the introspective perspectives of Proust and Sartre helps to examine the interaction between subjectivity and literary engagement. While Proust perceives literature as a personal and memory-driven quest, Sartre emphasizes its active role in transforming reality. This contradiction demonstrates that literature exists between an individual endeavor and a social construction. Finally, literature is described as a domain where critical analysis and subjective interpretation intertwine without limits. Rather than being a mere reflection of society, it is a space of reimagined possibilities, where reflection and imagination are encouraged by the freedom of creation.

Keywords: Literature, Critical Approaches, Sociocriticism, Society, Literary Field, Polyphony, Literary Engagement, Subjectivity, Creativity.

Introduction

Une analyse littéraire est un outil qui peut être immensément utile pour comprendre la profondeur et le contexte dans lesquels les œuvres sont créées. L'analyse vise à confronter la complexité des œuvres avec l'intention d'identifier les différentes dimensions qui y résident ainsi que les intentions des auteurs, tout en découvrant les contextes social, esthétique et philosophique qui les entourent. Cependant, toutes les critiques posent une fermeture épistémique interprétative à l'œuvre et à l'essence du texte, et comme tout texte, chaque critique doit être réalisée avec prudence. Cela amène à se demander, comment comprendre la nécessité d'une analyse approfondie tout en préservant l'unicité du texte?

Contrairement à d'autres théories, les théories critiques peuvent être abordées de plusieurs manières: à travers la psychanalyse, le structuralisme, l'histoire, la sociologie et la sociocritique. Toutes ces approches s'attaquent aux composants principaux du texte, mais négligent d'autres éléments importants. Par exemple, la perspective psychanalytique éclaire les conflits internes et discrets du personnage aux côtés d'autres individus tandis que le focus sociocritique se concentre sur les relations sociales et les structures de pouvoir qui entourent la littérature. Ces approches fonctionnent-elles main dans la main ou s'opposent-elles? Peut-on dire que ces perspectives rendent

dialoguent avec leur époque et les conflits qu'elles traduisent. Toutefois, le reproche que certaines critiques lui adressent, c'est un certain déterminisme lié à ne pas chercher la dimension esthétique du texte. D'un autre côté, le placer à côté des perspectives introspectives de Proust et Sartre aide à interroger l'interaction entre subjectivité et engagement littéraire. Tandis que Proust perçoit la littérature comme une quête mémorielle et intime, Sartre insiste sur son rôle actif dans la transformation du réel. Cette contradiction démontre que la littérature se situe entre une entreprise individuelle et une construction sociale. Enfin, la littérature est décrite comme un domaine où l'analyse critique et l'interprétation subjective s'entrelacent sans limites. Au lieu d'un reflet total de la société, c'est un espace de possibilités réimaginées où la réflexion et l'imagination sont encouragées par la liberté de création.

Mots-clés: Littérature, Approches Critiques, Sociocritique, Société, Champ littéraire, Polyphonie, Engagement Littéraire, Subjectivité, Créativité.

Abstract

This article discusses the innovative complexity and shortcomings of critical approaches in literary studies, with a particular focus on sociocriticism. However, it points out that no single analytical framework, however enriching, can fully capture the complexity of a literary work. From a stated perspective, the uniqueness of a work can only be grasped through the intersection of different approaches. Thus, the limitations of each approach encourage them to complement and enrich one another. In a first step, the article examines other critical approaches (psychoanalytic, structuralist, historical, sociological, etc.) to highlight their contributions and limitations. While some allow for an exploration of the unconscious dimensions or narrative structures of a text, they may also overlook the social and contextual determinations of the work. The analysis continues with an in-depth investigation of sociocriticism, applying the ideas of Bourdieu (literary field, habitus), Bakhtin (polyphony), and Zima (dialogism). This approach helps to understand how literary works engage in dialogue with their historical context and the conflicts they reflect. However, some critics reproach sociocriticism for a certain determinism, as it does not always seek to account for the aesthetic dimension of the text. On

La Littérature, Entre Analyse Critique Et Réalité Sociale: Apports Et Défis De La Sociocritique

Dr. Nathalie ROUPHAËL[1]

Résumé

Cet article traite de la complexité novatrice et des insuffisances des approches critiques en sciences littéraires, avec un accent particulier sur la sociocritique. Il fait cependant remarquer qu'aucune grille de lecture, aussi enrichissante soit-elle, ne peut à elle seule capter toute la complexité d'une œuvre. D'une mise en perspective énoncée, la singularité d'une œuvre ne peut se saisir sans le croisement des approches. Ainsi, les limites de chacune les portent à s'enrichir les unes les autres, ce qui fait que, dans une première étape, on traite des autres approches critiques (psychanalytique, structuraliste, historique, sociologique, etc.) afin de mettre en lumière leurs apports et leurs limites. Alors que certaines permettent d'explorer les dimensions inconscientes ou les structures narratives du texte, elles pourraient également négliger les déterminations sociales et contextuelles de l'œuvre. L'analyse se poursuit par une enquête approfondie de la sociocritique, appliquant les idées de Bourdieu (champ littéraire, habitus), Bakhtine (polyphonie) et Zima (dialogisme). Elle permet ainsi de comprendre comment les œuvres

(1) Docteure ès Lettres, Université Libanaise

EUROPUB Publishing Company LTD, UK

CheckInCertificate

CERTIFICATE
OF ACHIEVEMENT

THIS CERTIFICATE IS PROUDLY PRESENTED TO

Sada Al - Oulum

(ISSN: 2959-9423)

has been successfully indexed in **EuroPub Database** in year **2024**, a prestigious repository of scientific literature and research. "**Sada Al - Oulum**" has met the rigorous standards and criteria set forth by EuroPub Database for inclusion in EuroPub database, demonstrating excellence in scholarly content, editorial quality, and relevance to the scientific community.

This indexing acknowledgment is a testament to the dedication and commitment of the editorial board, authors, and contributors of "**Sada Al - Oulum**" to advancing knowledge and innovation in ***Arts, humanities and social sciences***.

This certificate is issued under the cover of EuroPub Publishing Company, Ltd., UK.

Euro Code: 1655739804 **Issue on:** 2024-09-14 **Validity:** 1 Year

Please check it as online with Euro Code: https://cms.europub.co.uk/qr_check

VALID

SIGNATURE

Database: http://europub.co.uk/

INTERNATIONAL Scientific Indexing

Fresh Ideas for Growing your Citations

Certificate

This is to certify that **Sada Al-Oulum** is indexed in International Scientific Indexing (ISI). The Journal has Impact Factor Value of **0.961** based on International Citation Report (ICR) for the year **2024-2025** . The URL for journal on our server is https://isindexing.com/isi/journaldetails.php?id=23574

Editor ICR Team (ISI)

International Scientific Indexing (ISI)

INTERNATIONAL Scientific Indexing

Fresh Ideas for Growing your Citations

Certificate

This is to certify that **Sada Al-Oulum** is indexed in International Scientific Indexing (ISI). The Journal has Impact Factor Value of **0.623** based on International Citation Report (ICR) for the year **2023-2024** . The URL for journal on our server is https://isindexing.com/isi/journaldetails.php?id=23574

Editor ICR Team (ISI)

International Scientific Indexing (ISI)

موقع المجلة الإلكتروني: www.sadaloulum.com

البريد الإلكتروني: sadaloulum@gmail.com

الرقم التسلسلي المعياري الدولي لتعريف الدوريات الإلكترونية: ISSN 9431-2959